الحقبة الجبرية ١

تاريخ الدولة الجبرية يلفه الكثير من الغموض ولا نعرف عن هذه الدولة إلا الشيء القليل، لكن هذا القليل يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الشعر النبطي كان في عهدهم إرثا أدبيا مزدهرا. ابتداء من هذه الفترة وبشكل مفاجئ وبدون مقدمات نبدأ بالعثور على نماذج غزيرة من الشعر النبطي على شكل قصائد طويلة تامة النضج قوية السبك مستقيمة البناء تامة التركيب، ومعظمها قيلت في مدح مشائخ الجبريين مثل أجود وقضيب ومقرن وغيرهم. ولا تجـود مخطوطات الشعر النـبطي بأي قصائد نبـطية تضاهي في قدمهـا النماذج التي وصلـتنا من فترة الجبريين عدا قصـائد أبي حمزة العامري وما أورده ابن خلدون في مقدمته. متى قامت دولـة الجبريين ومتى انتهت ومن هم حكامها؟ سوف نحاول هنا تقديم إجابة سريعة مختصرة على هذه الأسئلة لأهمية هذه الفترة المبكرة في تاريخ الشعر النبطي وتحديد نشأته وبداياته. ومن خلال ذلك سوف نقوم بعملية مسح شاملة لمجمل ما تجود به مخطوطات الشعر النبطي من قصائد تعود إلى هذه الحقبة.

قيام الدولة الجبرية

خير من يمكن الـرجوع إليه من الكتاب المعاصريـن عن تاريخ الجبريين ومنطقة البحرين عـموما هم الدكتور عبداللـطيف بن ناصر الحميدان ومـحمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر وحمد الجـاسر وأبو عبدالرحمن بن عقيل. ريمكن الرجوع إلى أعمال هؤلاء الباحثين المثبتة في مراجع هذا الكتاب. وهم يختلفون في التفاصيل وتتباين آراؤهم حول بعض القضايا ولكن يمكننا إجمال ما ذكروه في الأسطر التالية.

وقف العقيليون، وهـم من بني عامر بن عوف بن مالك بن عامر بن عقـيل، إلى جانب القرامطة في حربهم مع عبدالله العيوني، مؤسس الدولة العيونية، ولذلك قطع العيوني ما كان لرؤساء بني عقيل من العوائد والجرايات التي أجريت لهم أيام القرامطة. وبسبب ذلك قامت حـروب طويلة بين العيونيين وبـني عقيل الذين ينتسبون هـم وبنو خفاجة وبنو هلال وبنو سليم وبنو ثعلب وبنو المنتفق وبنو عبادة إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن مـن قيس عيلان من مضر. ويرى البعض أن من أسباب

تعميق الخلافات بين العيونيين وبين بني عقيل ما بينهما من اختلاف في النسب. فبينما ينتسب العيونيون إلى ربيعة (فهم من بني عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزاربن معد بن عدنان) ينتسب العقيليون إلى مضر (فهم من هوازن من قيس عيلان من مضر بن نزار بن معد بن عدنان)؛ وهذا ما نجده في أغلب كتب الأنساب. غير أن هناك من يرى أن بني عامر الذين منهم بنو عقيل من عبدالقيس الربيعية وليسوا من قيس عيلان المضرية. فقد ذكر أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩هـ) في كتابه مسالك الأبصار نقلا عن يوسف بن زماخ الحمداني أن عامرا التي ينتسب إليها بنو عُقيل ليست عامر المنتفق ولا عامر بن صعصعة. (الجاسر ١٤٠١-١٤٠٢: ٧٧٩). ويضيف الشيخ حمد الجاسر في تحشيته على هذه المعلومة قائلا «هم من عامر ربيعة، من عبدالقيس منها -ويعرفون قديما بالعمور، وحديثا باسم (العماير) ولا تزال لهم بقية في المنطقة الشرقية، وينتسبون في بني خالد» (الجاسر ١٤٠١-١٤٠٢: ٧٨٠). علما بأن الشيخ في حاشية سابقة ينسب بني عقيل إلى هوازن مما يعني نسبتهم إلى عامر بن صعصعة القيسية المضرية وذلك في قوله «والمقلد وقرواش من بني عقيل من بني عامر من هوازن» (الجاسر ١٤٠١-١٤٠٢: ٣٠٠). وفي تقديمه لكتاب ابن عقيل أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء (القسم الأول) يعود الجاسر إلى التأكيد على أن بني عامر الذين ينتمي إليهم بنو عُقيل هم بنو عامر بن الديل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس الربيعية وليسوا من عامر بن صعصعة التي تنتمي إلى هوازن من قيس عيلان المضرية. (ابن عقيل ١٤٠٣: ١٦-٢١). وهذا الرأي مخالف للآراء التي يتبناها البعض مثل الدكتور عبداللطيف الحميدان والشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل والقلقشندي الذي نجده في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب يخطّئ الحمداني في زعمه أن بني عامر الذين تنتمي إليهم بنو عُقيل ليسوا من بني عامر بن صعصعة. يقول القلقشندي «ومن آل عامر هؤلاء عقيل بضم العين . . . ولا عبرة بقول الحمداني أنهم غير عامر بن صعصعة وعامر المنتفق، بل هم من عامر بن صعصعة» (القلقشندي د. ت: ٣٠١). وشعراء الدولة الجبرية يرفعون نسب الجبريين إلى قيس ويلقبونهم سادات قيس، كما في قول ابن زيد في مدح أجود بن زامل:

فما وِلْد من عصر النبي محمد ولا أرضعت بيض العذارى نهودها
بأفرس من ستر العذارى ابن زامل إلى ذَلّ من سادات قيسٍ بنودها

سقى كل ما حلّوا من الأرض مرزم ألكن ياميم المصاري رعودها
حقيقٍ بها من أرض ما ينزل اجود أبا سندٍ سلطان قيسٍ عمودها

ويقول عامر السمين في مدح علي ابن اجود الجبري: علي بن اجودٍ سلطان قيسٍ// مجار الجود كهفٍ للضعاف، ويقول جعيثن اليزيدي عن مقرن بن زامل الجبري: وبين اجودٍ سلطان قيسٍ وركنها// عن الضيم أو في المعضلات الشدايد. وفي البيت الثالث والثلاثين من قصيدة الكليف في مدح مقرن ولد قضيب يصف هرب الأعداء من أمام جموع الجبريين قائلا: واقفن عن سلفان قيسٍ مخافه// فيها الوحوش رواغدٍ همّالها. وفي قصيدة لعامر السمين يمدح بها قطن بن سيف يصفه بأنه من خيار عقيل وأن أصله من عامر من قيس:

قيسي خيار عقيل جملا كلهم العامري من قيس أوفى مقسما
وإلى تفاخرت الأصول بعامرٍ فخيارها وأعزّها المتقدما

ويقول عامر السمين في مدحه لقضيب بن زامل: صفوة عقيلٍ هو اسطاها وأفرسها// وخْيارها همّةٍ في كسب الانفالِ. ويصف ابن زيد زامل الجبري بأنه ملك عقيل: على راي مَلْكٍ من عقيلٍ مجرّب// لتالي المعايا الجاذيات ضمين. وإضافة إلى قيس وعامر وعقيل نجد الشعراء ينسبون الجبريين إلى المضا. فهذا ابن زيد في أحد الأبيات ينسب جمع الجبريين إلى المضا حيث يقول «جمعٍ مضاويّ»، وفي قصيدة ابن غنام التي قالها في مدح محمد بن أجود يقول: تسلسل من ماضي خيارٍ مجرّب// كحد اليماني فيصلي المضارب. ويصل عامر السمين نسب الجبريين إلى المضا من قيس حيث يقول: وإلى المقدم أصلهم آل المضا// وإلى المضا من قيس أوفى مقسما. وهذه النسبة تتردد كثيرا عند شعراء الجبريين لكننا لا نعرف شيئا عن المضا. أما النسبة إلى قيس فقد تعني قيس عيلان المضرية أو عبدالقيس الربيعية، وقد تكون نسبة إلى جد أقرب حيث ينقل ابن فضل الله العمري عن الحمداني كلاما عن عُقيل ويقول «ومنهم القديمات والنعايم وقبات وقيس ودغفل وحرنان وبنو مطرق» (الجاسر ١٤٠١-١٤٠٢: ٧٧٩). ويكثر ترداد لقب الغريري الذي يطلقه الشعراء على أفراد الأسرة الجبرية الحاكمة كما في قول ابن زيد يمدح زامل الجبري: ضعاينٍ يتلين الغريري زامل//لكن جما حرجاتهن عرين؛ وقول الكليف من قصيدته «الدامغة» التي يمدح فيها مقرن بن قضيب: بيمنى غريريّ من اولاد المضا// مرخص دبيل الروح عند قتالها؛ وقول العليمي في

مدح قطن بن قطن: غريريٍّ قطاميٍّ شجاعٍ// ذرى الفرسان من ضرب السنينا. وأكثر الناس يعتقدون أن الغريري لقب اختص به حكام الأحساء من آل حميد (آل غرير) دون غيرهم. لكن الاسمين مضا وغرير من الأسماء الفصيحة التي تتردد كثيرا في الأشعار التي وردت في كتاب أبي علي الهجري التعليقات والنوادر الذي نشر أجزاء منه الشيخ حمد الجاسر، وكلمة غرير صفة يقصد بها نجابة الأصل وكرم المحتد ونبل الأرومة وتطلق عادة على فحل الإبل النجيب كما في قول ذي الرمة:

غريرية الأنساب أو شدنية عليهن من نسج ابن داود زخرف

وقوله:

نجائب من نتاج بني غرير طوال السمك مفرعة نبالا

في حدود سنة ٦٤٠هـ استولى رئيس بني عامر بن عقيل ومقدم أسرة الغفيلات المدعو عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة على الأحساء. وبذلك انقرضت دولة العيونيين لتحل محلها دولة العصفوريين نسبة إلى عصفور بن راشد وبنيه من بني عامر بن عوف بن مالك بن عامر بن عقيل. وفي حدود سنة ٧٠٠هـ حكم الأحساء سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة. وفي منتصف القرن الثامن الهجري أسس جروان أحد بني مالك بن عامر دولة بني جروان وملك بعده ابنه ناصر ثم حفيده ابراهيم. ثم وجد الجروانيون أنفسهم مضطرين نتيجة لضعفهم إلى الاستعانة بشيخ الجبور زامل بن حسين بن ناصر الجبري (نسبة إلى جد لهم اسمه جبر) العامري العقيلي النجدي وأن يمنحوه بعض الامتيازات المالية المجزية وذلك مثلما فعل قبلهم العيونيون مع العصفوريين. وفي سنة ٨٢٠هـ تقريبا انتزع زامل بن حسين بن ناصر الجبري هذا السيادة على الأحساء من بني جروان وأسس دولة الجبريين. وبذلك يكون مؤسس الدولة الجبرية حسب رأي الدكتور عبداللطيف الحميدان (١٩٨٠: ٤٤-٤٥) هو زامل وليس ابنه سيف، كما يرى الشيخ حمد الجاسر والشيخ محمد بن عبدالله آل عبدالقادر. ولزامل من الولد سيف وهلال وأجود الذي ولد في بادية الأحساء في رمضان ٨٢١هـ الموافق تشرين الأول ١٤١٨م. وتولى سيف الإمارة بعد وفاة والده زامل. وبعد وفاة سيف في حدود عام ٨٧٥هـ ورث الإمارة أخوه أجود بن زامل.

وتتضارب آراء المؤرخين حول عدد أولاد أجود وأسمائهم. ويستنتج الدكتور الحميدان، المتخصص في دراسة تاريخ الدولة الجبرية، أنه كان لأجود أربعة أولاد هم

محمد وسيف وعلي وزامل قسم الملك فيما بينهم قبل وفاته في العقد الأول من القرن العاشر. (١٩٨٠: ٦٦-٦٧). وكان من نصيب سيف حكم عمان الذي سبق أن أخضعها لحكم الجبريين في حياة والده. أما محمد فقد حكم مناطق الأحساء والبحرين وتزامن حكمه مع دخول البرتغاليين إلى منطقة الخليج عام ٩١٣هـ.

ومن أوائل شعراء الدولة الجبرية الذين وصلنا إنتاجهم شاعر يدعى أبو ظاهر مدح أجود بن زامل في قصيدة لم يسبق نشرها وجدناها في مخطوطات الربيعي وابن يحيى والعمري وهي على بحر الهزج ويستقيم وزنها بالنطق العامي والنطق الفصيح. وتغلب الفصاحة على هذه القصيدة، خصوصا الأبيات الأولى منها، لولا بعض المفردات العامية والتي يلزم نطقها نطقا عاميا ليستقيم الوزن الشعري مثل «المرجحن» في البيت الثالث و«السبايا» في البيت السادس بمعنى «الخيل» و«يدربي» في البيت الثامن بمعنى «يدحرج» ومثل ضمير الغائب «هو» الذي يلزم نطقه نطقا عاميا ليستقيم الوزن و«يوم تقفي» في البيت الثالث عشر و«بفتوق» في البيت السادس عشر. ولا ندري ما سر فصاحة قصيدة أبي ظاهر علما بأن قصائد معاصريه ممن سيرد ذكرهم لاحقا مثل النابغة ابن غنام وابن زيد وابن حماد عاميتها واضحة. ومن المحتمل أن أبا ظاهر نال قسطا من التعليم وحاول في هذه القصيدة أن ينظم بالفصحى لكنه بعد عشرة الأبيات الأولى ينكص إلى العامية التي تطغى على بقية أبيات القصيدة. يقول ابن غنام:

٠١) محلّك فوق هام السبع سامي وصيتك شايعٍ بين الأنامِ
٠٢) وباسك بعض بعضٍ منه يخشى كما تخشى النفوس من الحمام
٠٣) وجودك بعض بعضٍ منه يرجى كجود المرجحن من الغمام
٠٤) وحلمك والحلوم تطيش رهبه غداة الروع أثقل من سنام
٠٥) وقد سار الخميس على الخميس كما سار الصباح على الظلام
٠٦) وثار النقع من وقع السبايا كما صواعق المزن الركام
٠٧) ترى فيها جحاجحةٍ وخيل جيادٍ كالهشيم على الرغام
٠٨) معفّرةٍ معثّرةٍ فطوسٍ يدربيها المدربي بالحسام
٠٩) غداة صماصم البولاد فِلّتْ تهشّم ما ولاه من العظام
١٠) ومثل الصل معتدلٍ طويلٍ بِهِ كالنجم في جنح الظلام
١١) ومنتوبين من بطنٍ وظهرٍ سوى فولاذها وسوى القتام

١٢) هل العادات جرّار السبايا إلى ما شالها والقيظ حامي
١٣) وهو حامى الظعاين يوم تقفي شديد الباس في يوم الزحام
١٤) حمى حمر الهوادج يوم تنخا سواكنها تفرفش كالحمام
١٥) لعيني كل بهكلةٍ رداحٍ صموت الحجل قانية الوشام
١٦) تُرى من خدرها من عقب ستره كشمس الأفق بِفْتوق الغمام
١٧) بيوم كريهةٍ طعنٍ وضرب يشيب لهوله اولاد الفطام
١٨) بيوم المال يبونه قبل عزله به الحشوان عن جل السوام
١٩) تلقّى الطعن مع نار البلنزا مناعيرٍ تخاف من الملام
٢٠) صناديدٍ جحاجحةٍ وخيلٍ تفرّ من الملام إلى الحمام
٢١) شبك بالجمع جمعٍ من قريب وناطحت الكماة اهل الصدام
٢٢) وتلاقن الهوايا بالهوايا وفر النذل واكترب الحزام
٢٣) تعلّى بالشجاعه عقيل طبقا وأصخاها وأوفاها ذمام
٢٤) وأحيا الله كل كريم نفس ولا أحيا البخيل بن اللئام
٢٥) وصلى الله على سيد البرايا عدد ما لاح برق في غمام

وترد في مخطوطات الربيعي وابن يحيى قصيدة لشاعر يدعى النابغة ابن غنام مدح فيها محمد بن أجود. والطريف في هذه القصيدة استطراد الشاعر في وصف الفهد الذي كان يستخدم للصيد على زمن الجبريين الذين كانوا آنذاك يدربون الفهود على صيد الظباء مثلما كانوا يدربون الكلاب السلوقية على صيد الأرانب. كذلك يرد ذكر الصقور كثيرا في شعر شعراء تلك الفترة لكننا لا نجد أي ذكر للبارود والأسلحة النارية. ويشبه ابن غنام قوة وثب الفهد بالنشاب إذا انطلق من القوس. وهذه من الأمثلة النادرة التي يرد فيها ذكر النشاب في الشعر النبطي. ومن غير المعروف تحديدا متى انقرض استخدام القوس والنشاب في الصيد وفي الحرب عند عرب الجزيرة وما دور الأسلحة النارية في ذلك والتي دخلت مع دخول البرتغاليين إلى شواطئ الخليج العربي في أيام الدولة الجبرية. يقول ابن غنام في مدح محمد بن أجود وهي على بحر الطويل «الهلالي» ولا يستقيم وزنها إلا بالنطق العامي، لكنها لا تخلو من النفس الفصيح:

٠١) سعود الليالي عن نحوس النوايب تزهّت بلذّات الليالى العجايب
٠٢) وساق دجى ديجور الاحسان هاتف من الخير فامسى نجم الاسعاد ثاقب

٠٣) خليلي بعد ما عَنّ فكري فدنّ لي قلايص قودٍ من خيار النجايب
٠٤) بعزمي وهمّاتي وربعي رحايل نحافٍ خفافْ مفرّقات الغوارب
٠٥) إلى رمت زومات العزوم يردّني عيالٍ بهم قلبي من الهم تاعب
٠٦) إن شمت للقالات واشتان خاطري ذلّت عزومي عن صعاب المطالب
٠٧) شم واغتنم واشهر إلى جود خيّر له الحمد محمود الثنا بالمواكب
٠٨) تسلسل من ماضي خيارٍ مجرّب كحد اليماني فيصلي المضارب
٠٩) كما حضرميّ أنمريّ مشخّف غليض الذراعين ادرميّ المخالب
١٠) هموم لهوم ألطف العقب مسند له الصدر مفجوجٍ غليظ المناكب
١١) هلوعٍ فجوعٍ من إذا الجوع قد بقى طواه القوى وامسى له الجوع راعب
١٢) على محمله ينظر يمينٍ ويسره كما درب قومٍ يتّقي بالمراقب
١٣) إلى شام للعليا وله حل مرسنه مع الغمض يوري في خمار المساحب
١٤) بالاوثاب عجلٍ يطوي البيد كنه نَشّابٍ استافاه بالقوس جاذب
١٥) ختولٍ قتول الصيد هلعٍ مشكّل إلى صار هو من حول الاقمان كاهب
١٦) قصولٍ فصولٍ للظهور معوّد لتيس الظبا دومٍ بعسماه ضارب
١٧) ظباً صكّها من حيّ عسماه حطّها على الخد ألقاها صروعٍ عواطب
١٨) كما شاميٍ خرسٍ حسينٍ مهوّر بالاثمان ما يغليه بالسوق جالب
١٩) على صاحبه غالي وشاريه نافق إلى شافه القناص لشراه طالب
٢٠) قد حطّ في كفّه مضى عقب ما انقضى شرا البيع هِنّي به ولو غِلِي غالب
٢١) جميلٍ قصير الساق افجّ مفرجل كأقبا إلى اطحا ماتحه لوي جاذب
٢٢) حديد النظر من ذالق العين كنها إلى خِلْتها فيها سنا النار ثاقب
٢٣) لا ذا ولا هذاك يمضي إلى عدى بصيده وكلّ في معانيه آدب
٢٤) الفارس المعروف بالرمح لى التقت بالابطال في يوم المجال السلاهب
٢٥) كلون الدجى مغلنطس الليل لونه على نور قرن الشمس بالطمس حاجب
٢٦) إلى حل رجف الخيل والسوق بالوغى بتوريد قطع المرهفات القواضب
٢٧) والكل يوم الكون يعتاد عادته بسفك الدما يروي قوي المضارب
٢٨) صرايع من كف الغريري محمد فناها وثلثيها من الدم شارب
٢٩) كْعام العدا بحر الندى باذل الجدا بْبَذل الندى يندى وسيع الرواحب

٣٠) فتىً جامعٍ جودٍ وصبرٍ وفرسه ولـلجار والمنيوب جزل الوهايب
٣١) من كان من غارات الايام خايف وفاجاه من غاراتها كل نايب
٣٢) فحلٍ إلى ما صالوا القوم والتقوا حجى كل مضيومٍ إمام الركايب
٣٣) رفيق حسن الصيت ابا الجميل محمد رفيع محل النفس نزه المذاهب
٣٤) كما مزنةٍ غرّا نِشَت واستقلت وراجت وثَجّت من ركام السحايب
٣٥) لها عارضٍ رزنٍ وبالبرق يوضي والنو مستاسع وبالوبل حالب
٣٦) محنّ مرنّ مرجحنّ محلتم حقوقٍ دفوقٍ هاطل الغيث ساكب
٣٧) تِدَفّق براحات الحضور غمامها يجي سيلها جوده على النفد راكب
٣٨) تِدِفّق راحات ابن جبرٍ محمد لمن سال تندا بالسنين النهايب
٣٩) مواهب جوده بالتواريخ تنسب تسلسل من ازكاها رفيع المناسب
٤٠) فإن كمّلت ماء العدود ونَشّفت وكادت على الوارد شحيح المشارب
٤١) جود ابن جبرٍ للمنيبين عارض تحادا إليه الناس من كل جانب
٤٢) قراحٍ غزير الجم سمحٍ وروده فيّاض في جزل العطا والوهايب
٤٣) صخيّ نخيّ اريحيّ مجرّب حبيبٍ لبيبٍ للشكالات طالب
٤٤) وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما ظهر نجمٍ وما شيف غايب

ولما توفي محمد بن أجود بن زامل قام مكانه ابن عمه صالح بن سيف بن زامل. وفي حدود عام ٩٢٢هـ ثار مقرن بن زامل بن أجود على خاله وابن عم أبيه صالح بن سيف وانتزع الأمارة منه وظل الصراع قائما بين الإثنين حتى استشهد مقرن في حروبه مع البرتغاليين عام ٩٢٧هـ أثناء وجود صالح في بلاد الشام. ويعتقد كثير من المؤرخين أن مقرن هذا ابن لأجود لكن الدكتور الحميدان (١٩٨٠: ٦٧-٧٠) يقدم أدلة قوية على أن مقرن ابنٌ لزامل وأن أجود جده لا أبيه.

وبعد مقرن حكم عمه علي بن أجود الذي لم تطل إمارته أكثر من شهر وأعقبه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود. (الحميدان ١٩٨٠: ٨٣-٨٤). وحكم ناصر لمدة ثلاث سنوات أعطى بعدها الأمارة بيعا لقطن بن علي بن هلال بن زامل في حدود عام ٩٣٠هـ. وبذلك خرجت سلطة الجبريين من بيت السلطان أجود بن زامل إلى بيت أخيه هلال بن زامل. ولم تزد مدة حكم قطن بن علي أكثر من سنة ثم خلفه أحد أولاده الذي تنازل بدوره عن الحكم بعد فترة وجيزة وسلم السلطة لابن عم والده قضيب بن زامل بن

هلال بن زامل الـجبري. (الحميدان ١٩٨٠: ٨٣-٨٤). ولـعل تخلي ابن قطن عـن الحكم تم وفق اتفاق بينه وبين قضيب يأخذ قضيب بموجبه الأحساء في حين تبقى عمان في قبضة أولاد السلطان قطن الذين ظلت لهم سلطة قوية هناك ولمدة طويلة. (الحميدان ١٩٩٥: ٨١). وقضيب بن زامل هذا هو الذي مدحه عامر السمين بقصيدته المنشورة في الجزء الأول من مجموع عبد الله بن خالـد الحاتم خيار ما يلتقط من الشعر النبط (١٩٥٢: ٦١-٦٣). يقول مطلع القصيدة والتي سنوردها كاملة فيما بعد:

أنـا اتـكـالـي عـلـى ذي الـقـوة الـعـالـي ربـي سـنـادي واعـتـقـادي بـآمـالـي

بقي أن نزيل ما يكتنف اسم قضيب بن زامل من لبس. فقد ورد عند آل عبدالقادر والجاسر وابن عقيل باسم غصيب نتيجة ما ورد من تصحيف أو تحريف في الاسم في مخطوطات الدرر الفـرائد المنظمة في أخبار الحج وطـريق مكة المعظمة الذي ألفه الشيخ عبدالقادر الجزيري. والدكتور عبداللطيف الحميدان متردد بين قضيب وغصيب. وفي تحقيـقه لمخطوطات الدرر الفـرائد المنظمة اعتمد الـشيخ حمد الجاسر لفـظة غصيب بدلا من قضيب لكنه أشار في الهامش إلى أن الاسم يرد في مخطوطة جامعة ييل Yale بصيغة «القضيب» (الجزيري ١٤٠٣: ١٧٢٨). وما نجده مثبتا في مخطوطات الربيعي وابن يحيى والعمري، وعند عبدالله بن خالد الحاتم أيضا، هو قضيب. وتتفق مخطوطات الشعر النبطي على أن قصيدة عامر السمين المسماة الدامغة قيلت في مدح قضيب بن زامل، وأن قصيدة الكليف في مدح مقرن ولد قضيب، وحينما يرد الاسم في هذه القصائد يرد مكتوبا قضيب. هذا التكرار بهذه الصيغة الموحدة ينفي إمكانية التصحيف ويؤكـد أن الاسم الصحيح قضيب وليس غصيب. وقـضيب من الأسماء الشائعة في نجد حتى يومنا هذا. فعائلة القضيبي من العوائـل المعروفة في القصيم. وهناك شاعر معروف من منطقة الجوف اسمه قضيب راع الطير الذي عارض مهلهل بن شعلان في أحد قصائده.

وفي عام ٩٣١هـ استولى حاكم البصرة وشيخ المنتفق راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل على الأحساء والقطيف وأنهى حكم الجبريين هناك. وربما يكون صالح بن سيف بن زامل هو الذي استنجد بالشيخ مغامس لانتشال الإمـارة من قضيب لكنها ضاعت من الاثنين. (الحميدان ١٩٩٥: ٨٢-٨٣). وهكذا انطوت صفحة الجبريين في الأحساء ودخلت المنطقة فترة يسودها الغموض والاضطراب.

وخلافا لما يقرره كل من الشيخ حمد الجاسر والدكتور عبداللطيف الحميدان من انتهاء دولة الجبريين على يد قضيب بن زامل، يرى ابن عقيل في الجزء الأول من ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد (١٤٠٢: ٦٦-٦٩, ٧٥-٨٣) وفي كتابه أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء: القسم الأول (١٤٠٣: ٢٤٢-٢٩١) أن مقرن بن قضيب بن زامل الذي مدحه الشاعر الكليف (عند الحاتم والنفيسة والجليف عند الربيعي وابن يحيى والذكير ومنديل) بقصيدته المسماة الدامغة (الحاتم ١٩٥٢، ج١: ٥٥-٥٩) استرد حكم الأحساء من آل مغامس واستمر حكم الجبريين حتى نهاية القرن العاشر حينما انتزع الأتراك حكم الأحساء منهم. وكان آخر حكام الجبريين، حسبما يرى ابن عقيل، هو منيع بن سالم، ممدوح الخلاوي. ويورد ابن عقيل على ذلك شواهد وجيهة منها تحليله المتبصر لقصيدة الكليف فيما يتعلق باستعادة مقرن بن قضيب الحكم من آل مغامس، ونص وجده عند عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق (١٩٦٥، ج٤: ٧٨) فيما يتعلق بمنيع بن سالم. ويتفق رأي ابن عقيل مع إجماع المؤرخين القدامى مثل الفاخري وابن بشر وابن لعبون وابن عيسى الذين يقولون بأن العثمانيين استولوا على الأحساء بعد أن ضعفت دولة الجبريين مع تمام سنة الألف هجرية. وهذا خلافا لما يراه الشيخ حمد الجاسر من أن الأتراك انتزعوا الأحساء من آل مغامس سنة ٩٦٣هـ. وحول هذه الفترة الغامضة من تاريخ منطقة الأحساء لا غنى للقارئ عن الرجوع إلى الفصل الثاني من كتاب بنو خالد وعلاقتهم بنجد للأستاذ عبدالكريم بن عبدالله المنيف الوهبي (١٤١٠: ١٠٩-١٤٥).

وهكذا فإن آخر شاعر من شعراء الدولة الجبرية يصلنا إنتاجه شاعر تكتب بعض المخطوطات اسمه الكليف وبعضها تكتبه الجليف. وأرجح أن اسمه الصحيح هو الكليف؛ وربما أن النساخ النجديين كتبوا الاسم بالجيم بدلا من الكاف محاولة منهم لمجاراة نطق الكاف عند أهل الأحساء والبحرين، وهو نطق قريب من الجيم. وهكذا فإنه من السهولة أن تصحف الكاف إلى جيم مراعاة للنطق ولكن ما من سبب يدعو إلى قلب الجيم إلى كاف، ولهذا أرى أن الاسم الصحيح بالكاف لا بالجيم. ولا ندري هل الكليف اسمه أم لقبه. وقصيدته على بحر الرجز في مدح مقرن ولد قضيب تنيف على مائة بيت وهي من أجود قصائد المدح في الشعر النبطي. وهو إذ يمدح مقرن في قصيدته إلا أنه يخاطبه مخاطبة الند للند ويسدي إليه المشورة والنصح ويعرض عليه

المساعدة المالية. وليس في القصيدة أي أثر للتكلف أو التزلف أو الاستجداء. وهو يحذره من مصافاة العدو ومماألأته حتى لو رأى البشاشة في وجهه ويقول إن عدوك يضحك لك ريثما يتدبر أمره في الكيد لك. هذه البشاشة الخادعة يشبهها الشاعر بالسراب أو الماء الصافي في بئر غير محكمة الطي ورخوة الجوانب. حينما يرد الظمآن طمعا بهذا الماء البارد تزل به قدمه حالما يصل حافة البئر وقبل أن يدرك نفسه وينجو تزل قدمه الأخرى فيسقط في ماء البئر العميق وتنهار عليه جوانبها. تقول القصيدة:

٠٠١) زهت الديارُ بحسنِها وجَمالِها واستبشرت بالعز روس رْجالها
٠٠٢) وبها القلوبُ قد اطمأنّت بعدما كثرت وشاة السوّ في نزّالها
٠٠٣) والغيث جاد به الحقوق وجرّرت فيها مباكير السحاب اذيالها
٠٠٤) ورست بأمر الله بعد تزلزلٍ طابت معيشتها وزان ظلالها
٠٠٥) واجرى بها الحق المقيم اقلامه والجود حل بها وزال علالها
٠٠٦) وتجاوبن حلو القريض خرايد بديارهم واهل الديار جمالها
٠٠٧) يزهن طردٍ للتشبب للفتى شروى اجتوال الريم عند جفالها
٠٠٨) والحمد للمولى على إحسانه على جميع وهايبه وافضالها
٠٠٩) ولّى إمامٍ في الديار وقد طمى بالعلم بحرٍ من بحور ظلالها
٠١٠) بالعدل واصلاح العشيره بعدما كثرت وشاة السو بين رجالها
٠١١) وتزيّنت للغير فيها واثمرت بنوايعٍ شاق الفؤاد احمالها
٠١٢) بامرٍ من المولى وْوَفْقٍ طيّب للدار من عقب اختلاف خلالها
٠١٣) بمرابعٍ فيها الملا كم تقتدي ما طاوع اشرار الملا وانذالها
٠١٤) إلى غريريّ من اولاد المضا راعي عطايا ما يِمِنّ جْزالها
٠١٥) شيخ العشيره مقرنٍ زاكي الوفا حمّال من حِلّ الخطوب ثقالها
٠١٦) قد شاف بالأعمام ما لا يُرتضى بالدار واقفى زاهدٍ باعمالها
٠١٧) متسلّلٍ عن ديرته واصحابه خوف القطيعه بالصديق وقالها
٠١٨) حتى بقى الطرّاش يتعب بينهم يسعى ويشكي ما جرى في حالها
٠١٩) ويقال ياستر العشيره قد بقى قطع بأيدي الظالمين وصالها
٠٢٠) فأجاب كالحر القطامي جارد من شوفته زرّيقةٍ يدعى لها
٠٢١) حوّل محل الملك وانقادت له أهل الشروق وغربها وشمالها

٠٢٢) بالسيف حل الدار كرهٍ والقنا وبنى بيوت المجد فوق حلالها
٠٢٣) قاسى الملا وافى الحروب فكم وكم لحقت به اصحاب الأمل آمالها
٠٢٤) قد نال من مال الكرام فضالها خوف القضا بارواحها واموالها
٠٢٥) والمال مطروحٍ على وجه الوطا ذهبٍ وحيوانٍ مَعَ دلالها
٠٢٦) وطرايف الشهوات في سوق المنى ما تترك الا خوفةٍ من حالها
٠٢٧) من حكم مَلْكٍ عادلٍ في حكمه وفيه القشر لمن مشى بادغالها
٠٢٨) وان طاح في دار العدا غمق السرى غرّا يشوق الناظرين خيالها
٠٢٩) هرفي ووسميٍّ بشهرٍ كامل نو السعود موافقٍ هطّالها
٠٣٠) وبقى نبات الأرض يزهى ربعها وغطى النبات حزومها واطلالها
٠٣١) إلى نشا فوق الحزوم مطارقٍ يهتز نوّار البها ميّالها
٠٣٢) وامست به الفرقان شتّى همّل عامين ما يطوى نشير اموالها
٠٣٣) واقفن عن سلفان قيس مخافةٍ فيها الوحوش رواغدٍ همّالها
٠٣٤) فالى ذوى زاهيه واطّرد السفا واوما على روس الروابي لالها
٠٣٥) ولعى على الما كل هيما خرعب يجيبها عند الحنين طفالها
٠٣٦) ويجن من روس الفلاة ورّد في لهفةٍ يشفى الضمير زلالها
٠٣٧) شرقيها الدهنا ومن غربيها حدٍّ يحدّه شامخات جبالها
٠٣٨) وازينها والحي فيها قاطن وسوامها ملتمّةٍ بظلالها
٠٣٩) هذا ولي عينٍ إلى طاب الكرى وعيالها فيما عصت عذّالها
٠٤٠) والعين مني قد جرت عبراتها ونعت زمانٍ بالسعود مضى لها
٠٤١) وتذكّرَت عصر الشباب وما جرى بمشاهدٍ ومنازلٍ طوبى لها
٠٤٢) والدار جامعة لحيي والنيا ما فرّق اللاما وجذّ حبالها
٠٤٣) واقول والقلب المشيح مكلَّف والنفس شاقيةٍ بما يعنى لها
٠٤٤) يابو مبارك لا باليت بسيّه ياستر بيضٍ قد ذَهَلْنَ دَلالها
٠٤٥) يامنوة الخِطّار وان طَرَقت بهم قودٍ من البيدا تحطّ رحالها
٠٤٦) يازبن تال المرهبين إلى جذت بالبيض من رهق الخصيم جمالها
٠٤٧) في يوم هيزعةٍ وقد بحث الكدى وجذت رجال الحرب دون اقوالها
٠٤٨) وقامت جياد الخيل تحجز بينهم روس القنا وتناطحت بابطالها

٠٤٩) جـواد عـيّـاف الـدنـايـا مـقـرن كـرهٍ يـقـاضـي والـقـتـام جـلالـهـا
٠٥٠) بـمـتـوّجٍ يـاطـول مـا لـحـقـت بـه والـعـز والـنـومـاس فـي غـربـالـهـا
٠٥١) مـتـقـلـدٍ صـافـى الـحـديـده صـارم شـرثٍ الـى نـاش الـضـريـبـه شـالـهـا
٠٥٢) ومـن الـقـنـا ثـلـث اربـعـيـن بـراسـه كـالـنـجـم يـوضـي بـالـظـلام شـعـالـهـا
٠٥٣) ومـضـافـرٍ كـالـفـهـد وزن بـراسـه يـشـلـق بـذاك الـيـوم فـيـه رجـالـهـا
٠٥٤) بـيـمـنـى غـريـريّ مـن اولاد الـمـضـا مـرخـص دبـيـل الـروح عـنـد قـتـالـهـا
٠٥٥) مـا تـلـحـق الـسـفـهـا قـصـايـا سـدّه يـومٍ ولا كـل الـرجـال تـنـالـهـا
٠٥٦) فـان كـنـت ذو حـلـمٍ وعـقـلٍ كـامـل وطـبـيـعـةٍ تـزهـى بـحـسـن جـمـالـهـا
٠٥٧) فـارتـد لـحـكـمك مـن حـكـومةٍ غـيـرك نـورٍ عـلـى نـورٍ يـصـيـر ازكـى لـهـا
٠٥٨) والـفـكـر بـالـقـالات قـبـل ورودهـا بـاب الـنـجـاة إلـى عـطـت بـاقـبـالـهـا
٠٥٩) فـالـراي قـبـل الـفـعـل أقـدى لـلـذي يـجـزى صـدور الـراي عـنـد اقـبـالـهـا
٠٦٠) والـمـهـلـكـات اعـجـاب إمـر بـرايـه ودخـولـه الـقـالات مـا يـعـبـا لـهـا
٠٦١) فـان الـغـمـايـظ بـالـقـلـوب مـحـلّـهـا والـنـفـس مـا تـومَـن عـلـى قـتّـالـهـا
٠٦٢) قـلـته وانـا الـلـي شـايـفٍ مـن قـبـل ذا أشـيـا يـكـافـي قـصـرهـا وطـوالـهـا
٠٦٣) يـامـا شـفـى غـل الـقـلـوب مـن ابـلـج يـمـشـي عـلـى الـدولات لاسـتـزيـالـهـا
٠٦٤) ومـجـامـلٍ بـافـواهـه ان وهـبـت لـه يـومٍ دنـا وادنـات شـيٍّ نـالـهـا
٠٦٥) وابـعـد عـدوّك عـن مـحـلٍّ نـلـتـه فـالـنـفـس لا بـد الـبـلا يـغـتـالـهـا
٠٦٦) واحـذر عـدوك لـو تـسـيّـدٍ عـنـدك لـو قـال هـاك مـن الـوعـود ثـقـالـهـا
٠٦٧) واحـذر عـن ارمـاث الـعـهـود فـإنـهـا دَرَك الـنـفـوس الـى دنـت آجـالـهـا
٠٦٨) واحـذر عدوك لـو صـفـى لـك وجـهـه حـدّه بـرجـوى حـيـلـةٍ يـحـتـالـهـا
٠٦٩) يـعـطـيـك بـالـراحـات أقـوالٍ وهـي شـروى سـرابٍ طـافـحٍ فـي لالـهـا
٠٧٠) وبـشـاشـةٍ بـالـوجـه مـثـل ركـيّـه بـرّاقـةٍ بـالـمـا هـيـارٍ جـالـهـا
٠٧١) مـن دون مـاهـا جـاريٍ ومـزلّـه مـا يـامـن الـقـلـب الـذهـيـن سـلالـهـا
٠٧٢) فإلـى زُلِفَت رجـلك وحل بـها القـضا فـادر ان الاخـرى حـالـهـا مـن حـالـهـا
٠٧٣) واعـرف بـأن الـطـيـر سـعـده ريـشـه وان قِـص مـا لـه حـيـلـةٍ يـحـتـالـهـا
٠٧٤) وان قصّـت اليمنى الشمـال تحسّـفت وتـنـدّمـت يـمـنـىً تـقـص شـمـالـهـا
٠٧٥) ومـن لا يـنـال مـعـزةٍ بـرفـيـقـه نـال الـمـذلـه دِقّـهـا وجـلالـهـا

٠٧٦) فان كان تبغي ملك هجرٍ صادق فاضرب بحد السيف روس رجالها
٠٧٧) واجعل قديمي في محل مقدّم واهل الشروقات استعن باموالها
٠٧٨) فان الممالك ما تجيك براحه إلا بشيٍّ تاعبٍ محتالها
٠٧٩) وان ارجفت دارك وحل خذولها وكثرت وشاة السو في نزّالها
٠٨٠) ما تركد الا عقب ضرب جماجم بالسيف وايمانٍ هفت لوصالها
٠٨١) وقطايع وقلايع ووقايع وصرايع وصنايعٍ تبرى لها
٠٨٢) وصدايم وصرايم وعظايم وغرايم وعزايمٍ تعبا لها
٠٨٣) وإلى بليت وعدت يومٍ خايف من ميلة الدولات عقب عدالها
٠٨٤) اجعل مَعَ حرف الشريعه مثله حرفٍ من الباطل يصير ازكى لها
٠٨٥) الحق في كتب النبي محمد والسيف عن عيلاتها يبرى لها
٠٨٦) لا تحسب ان الخط في قرطاسه يجري مداد الحبر فوق صقالها
٠٨٧) يهدي القلوب العايلات عن العيا إلا ان يحل السيف في جهّالها
٠٨٨) فالى ايتفى حقٍّ وسيفٍ صارم هدت العصاة وطاوعت عذالها
٠٨٩) ويتم حق المسلمين دروبه بقرعٍ يدل عن العيا عيّالها
٠٩٠) كذا السفينه ما يزين مسيرها الا بشد شراعها وحبالها
٠٩١) ولا بِسْنِد العِيّال عن وهماتها إلا القضا بارواحها واموالها
٠٩٢) والدار شروى زينةٍ معشوقه كل البرايا مشتهين وصالها
٠٩٣) فان حازها بعلٍ غيورٍ حفظها في موضعٍ ما رامها من نالها
٠٩٤) وان عدمت البعلٍ الغيور تلطّمت بعد الجمال الزين بازرى حالها
٠٩٥) وإلى وليت فكن حفيٍّ ريّف فالنفس لا بد الإله يسالها
٠٩٦) واحذر محاسبة الإله بموضعٍ فيه النفوس رهاينٍ باعمالها
٠٩٧) اعدل وخف ملكٍ عليك عقوبه وانظر قداة السو كيف جرى لها
٠٩٨) خذ من علومي درةٍ مصيونه لى كرّروها الناس صار ازكى لها
٠٩٩) تَمّت ولا من واعيٍ يسمع لها إلا شقى في نظمها وعدالها
١٠٠) مدحٍ وتشريفٍ وبذل نصيحةٍ ما تختفي عند الرواة امثالها
١٠١) جت من فؤادٍ ناصحٍ بمحبةٍ ما هوب محتاجٍ يريد نوالها
١٠٢) إلا هديّة عارفٍ ومعوّل لاهل الديار ورايفٍ في حالها

١٠٣) وانا بحالات الصديق مساعف إن شحّت اولاد العمام بمالها
١٠٤) ما نيب من يعطي رفيقه قافي إن صكّته دنياه عقب اقبالها
١٠٥) إلا أقاضي في قفاه ووجهه قرعٍ بشارات الندى وارعى لها

ويعلق الدكتور عبداللطيف الحميدان على البيت السادس عشر بقوله «يفهم من ذلك أن بلاد الجبور كانت تحكم من قبل عدد من أعمام مقرن وأن حكمهم كان غير مرضي فحرضه الشاعر على الثورة ضدهم. ونحن نعرف من تقارير البرتغاليين أن إمارة الجبور الواسعة كان يحكمها ثلاثة من أولاد أجود فوصف الشاعر لهؤلاء الحكام بأنهم أعمام لمقرن دليل قوي على أن مقرنا حفيد لأجود وليس بابن له» (الحميدان ١٩٨٠: ٦٩).

ولفهم معنى الشطر الثاني من البيت الأخير قارنه بقول بركات الشريف: انا ان عدت خصال الجود عني// تخير من معانيك القريعه. والقريعه هي الشيء النفيس الذي يقترعون عليه ويقع عليه الاختيار لحسنه وجودته. ونلاحظ في ثلاثة الأبيات الأخيرة أن الكليف يخاطب الأمير مقرن على أساس أنه صديقه ورفيقه. وأسلوبه في مخاطبة مقرن عموما يوحي بأنه من علية القوم ووجهاء المجتمع وأصحاب النفوذ، وإلا لما أسدى إليه المشورة وعرض عليه المساعدة وخاطبه مخاطبة الند للند. لكن على النقيض من ذلك، هناك قصيدة أخرى على البحر الهلالي نجدها في مخطوطات الربيعي وابن يحيى وفي الجزء الأول من مجموعة الحاتم (١٩٥٢، ج١: ٥٣-٥٥) قالها الكليف في التحرق على والدته بعدما خرجت من بيته مغاضبة له وذهبت إلى بيت أخيه الصغير الذي يبدو أن علاقته معه هو الآخر لم تكن على ما يرام. فلو كان الكليف له ما توحي به قصيدته في مدح مقرن من قوة شخصية ومكانة اجتماعية وإمكانات مادية لما اهتز وفقد توازنه لهذه المشكلة العائلية البسيطة ولاستطاع السيطرة عليها وحلها قبل أن تتفاقم وتصل إلى ذلك الحد المؤلم. وهل يمكن أن يحظى بالقوة والنفوذ شخص أسرته على هذا القدر من التمزق ووضعه العائلي على هذه الدرجة من الهشاشة! يقول مطلع القصيدة:

إلى الله أشكي ليعةٍ ما دري بها جمارٍ ولا عند البرايا حكي بها

وها نحن أتينا على ذكر ثلاثة من شعراء الدولة الجبرية والذين لم تحفظ لنا المخطوطات من شعرهم إلا القصيدة والقصيدتين. وهناك ثلاثة شعراء آخرون وصلنا لهم عدد لا بأس به من القصائد هم ابن زيد وجعيثن اليزيدي وعامر السمين. ونظرا لغزارة إنتاج هؤلاء الشعراء الثلاثة مقارنة بغيرهم من شعراء الدولة الجبرية فإننا سنفرد

لكل منهم عنوانا مستقلا أدناه. وهناك شاعر سابع اسمه ابن حماد لم تحفظ لنا المصادر من شعره إلا قصيدة واحدة قالها ردا على أحد قصائد ابن زيد سنوردها في محلها.

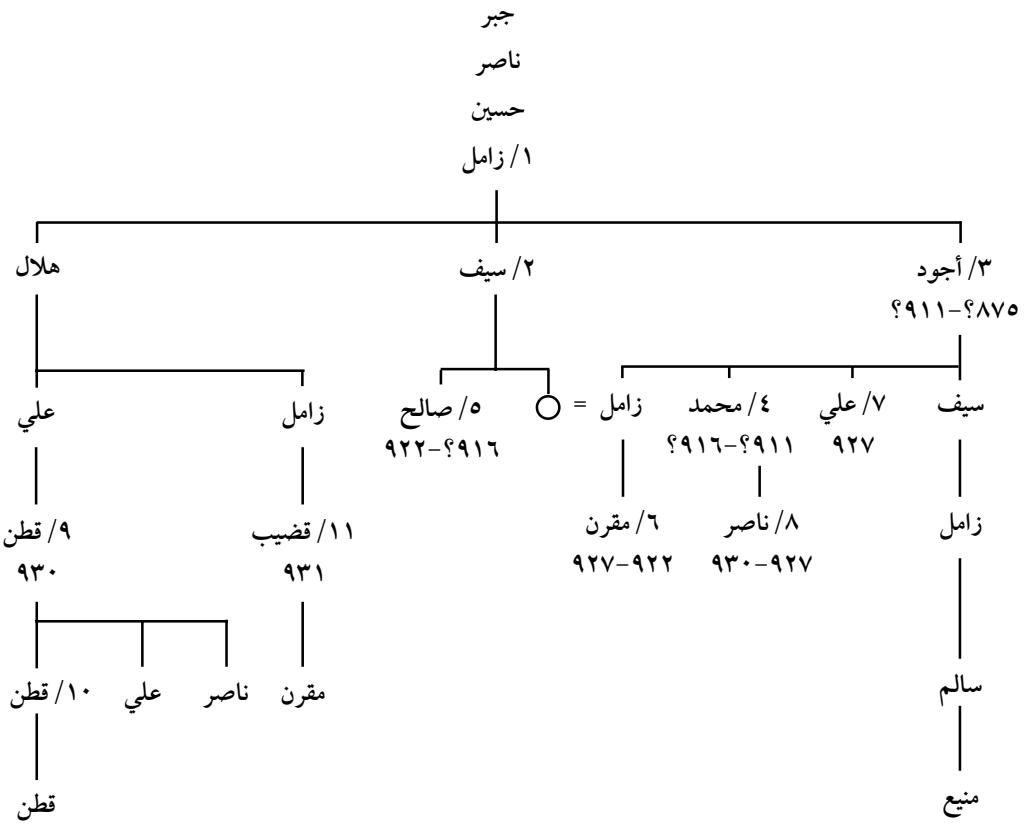

مشجر أمراء الجبريين: وضعنا أمام كل أمير رقمه التسلسلي والسنوات التي تولى فيها السلطة

ابن زيد

من أقدم شعراء الدولة الجبرية وأغزرهم إنتاجا شاعر يدعى ابن زيد لم أجد له ذكرا إلا في مخطوطة سليمان بن صالح الدخيل المعنونة كتاب البحث عن أعراب نجد وعما يتعلق بهم. وتورد المخطوطة عشر قصائد لابن زيد معظمها في مدح أجود وأبنائه. كما تطرق ابن زيد في قصائده لبعض الأحداث البارزة في تاريخ الجبريين وصراعاتهم مع مشائخ القبائل المعاصرين لهم وسجل عددا من الأسماء التي أرى أنها إضافة هامة إلى ما لدينا من معلومات شحيحة عن عصر الجبريين.

وجميع قصائد ابن زيد على البحر الهلالي مما يوحي ببداوة قائلها. وهو شاعر فحل يفد على الملوك ويجيد نعت الناقة والوقوف على الأطلال والبكاء على الآثار الدارسة ويصف البرق وصفا جميلا وما يصحبه من سحب وأمطار. ونلاحظ أن الفصاحة بدأت تضمحل، وإن لم تنعدم تماما، في قصائده مقارنة بقصائد أبي حمزة العامري. ومن قصائد ابن زيد قصيدة وجهها إلى شخص يدعى كليب بن مانع والذي يبدو أنه ممن حاولوا مقاومة نفوذ أجود بن زامل الجبري وحدثت بينهم وقعة على مورد لينة هزم فيها أجود كليبا وأصحابه وأزاحهم عن ديارهم. ويرد في القصيدة عدد من الأسماء مثل سيف الذي قتل في المعركة وابن صلال وابن غزي وابن قشعم وآل عيسى وأبناء وثال. ويذكر مؤلف التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية في حديثه عن عشائر الأجود التي تقطن العراق في القرن العاشر الهجري أن بيت آل وثال من شيوخهم. (النبهاني ١٩٨٦: ٣٩٧). ونلاحظ أن ابن زيد يلقب أجود في قصائده بأبي سند؛ ولا ندري هل هذا مجرد كنية أم أن لأجود ابنا اسمه سند لم تسجله كتب التاريخ. وفي القصيدة يعرّض ابن زيد بخيل آل عيسى ويعيذها بالله لسرعة جريها لكنها تجري مولية الأدبار هربا لذلك لم تصب الرماح نواصيها وأصابت مؤخراتها، أو كما يقول «عيازهن». يقول ابن زيد:

٠١) يقول ابن زيدٍ قول راعي مثايل ... مقالٍ على كل الرواة مكاد
٠٢) فقل أيها الركب الذي قد تقلّلوا ... على ضمّرٍ روحاتهن بُعاد
٠٣) إلى ما لفيتوا بالمطايا قواصد ... شواغل من شكوى الحفا ولهاد
٠٤) فخصّوا بتسليمي كليب بن مانع ... ومن لذوي دانيه عزا وعماد
٠٥) قولوا له ان الذم ما هوب واجب ... والاعلام يحيا ذكرها ويعاد
٠٦) أثابك فيها الله حيثك ظلمتها ... بشرٍّ إلى ما قلت هوّن زاد
٠٧) إن كان سيفٍ حان أو جاه يومه ... ومِهّد في بطن الثرى بمهاد
٠٨) ما مات إلا عنك في كل لقوه ... لكم عند زومات العدو سناد
٠٩) ٠٠٠٠٠٠٠٠٠يومٍ بخيره ... عليك بها يوم الوقيعه حاد
١٠) طمعت وقلت القوم لاشٍ خلافه ... وكلٍّ على ماضي قديمه عاد
١١) ومنّيت من يعطيك ميراث جده ... وذا ظن من لا يختشي بغداد
١٢) نَحَن غصّةٍ في كبد الاعدا مطيله ... إلى قلت يبرا غلّها بك زاد
١٣) تعوّض بقعا في بساتين مرغم ... والاوطان في سوق العراق بلاد

١٤) عدّاك ابن جبرٍ ياكليب وعادته لشرواك عن عادي مقامه عاد
١٥) وتنبيت ما لا تهتويه وسطوه وشارات جودٍ ياكليب مكاد
١٦) فخذ حَذَرٍ لو ما كنت راعي عداوه مبينٍ فعذري في عداتك باد
١٧) كما انك منكارٍ ولا فيك طيّب وانت فبالشر الردي ستاد
١٨) أطلب لك المهلا زمانٍ لعلها معَ سالف انوًا قد مضين جياد
١٩) فزادت لك المهلا علينا حماقه وظلّيت مع راع الحماقه غاد
٢٠) واقفيت اذا ولّيت وازيت بعدها عدوٍّ فضيّعت الجميل فباد
٢١) أسالك بآيات القران وفضلها وأم القرى والمرسلات وصاد
٢٢) والحرم الذي قبر فيه محمد وبالله ان الله فيه سداد
٢٣) من المبتدي منا بالاحسان أول ومن له مبدا بالثنا ومعاد
٢٤) فذا ذكرها قد جا لكم يآل مانع والاجواد ما تدع الجميل زهاد
٢٥) لك الله تجزون الجميل بسايه وبالمال ظني عن صخاه شْداد
٢٦) ترى ان كانت الميعاد لينه بيننا فلا نرتضي من دونها بسداد
٢٧) ولينه ميرادٍ علينا مبارك ولم يَفْدِنا من ورد لينه فاد
٢٨) وخلّيتها كرهٍ وخلّيت حولها بيوتٍ على روس الرفاع تشاد
٢٩) قسمناكم اثلاثٍ فثلثين عندنا وثلث ابن غزّيّ فراح بداد
٣٠) وجمع ابن صلالٍ قبيل ابن قشعم عداه عن اسباب الملامه عاد
٣١) وخانوا بنا أبنا وثال قصورنا والادناس تدعى الخاينين رماد
٣٢) فقل لال عيسى عيذ بالله خيلهم فهن مطاويعٍ وهن جياد
٣٣) صحاح النواصي عن شبا ذارع القنا وسوم القنا بعيازهن جداد
٣٤) يرفّعن بالسيقان عن كل مايق وهو بين طلاب الديون يقاد
٣٥) إلى قلت ردّوا واتّقوا دون مالهم لكن بيد الطالبين جراد
٣٦) وان جاد خَطَرٍ قد تهيّا نباته وقد سال بايام الربيع وجاد
٣٧) رعيناه بالشم المناعير والقنا إلى عنه مذموم العشيره حاد
٣٨) بجمعٍ مضاويّ لكن حرابه نجوم الدجى خطرٍ لقاه مكاد
٣٩) اهل شيمةٍ علياً ونفسٍ عزيزه عن الدون ما شوفاتها بزهاد
٤٠) أبا سندٍ زبن المشافيق أجود إلى ما غدى المستاخرين غواد

٤١) وهو بحر الجودا وهو مغرس الندى وراعي صخا من سالف وجداد
٤٢) وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما سعى ساعي ونادى مناد

ورد ابن حماد، شاعر كليب بن مانع، على ابن زيد بقصيدة طويلة يذكره فيها بمواقف كانت لهم الغلبة فيها على أجود وقومه. وفي الأبيات ٣٨-٤٢ يعدد ابن حماد خسائر الأعداء التي بلغت حسب ذكره خمسا وعشرين فرسا قتلوها وتسعين فرسا سبوها وخمسا وعشرين من القتلى بمن فيهم شخص أسماه زامل، وربما يكون واحدا من أمراء الجبريين الذين شاركوا في تلك المعركة. ويستطرد ابن حماد قائلا إنهم بذلك أخذوا ثأرهم بقتلاهم الذين سمى منهم عليان ومانع (الذي ربما يكون أبو كليب بن مانع) الذين يصفهم في البيت التاسع والثلاثين بأنهم مشاكيل القديمات، أي أعيانهم وقادتهم، مما يدل على أن قبيلة الشاعر، والتي هي قبيلة كليب بن مانع، هم القديمات. ويرد اسم القديمات كذلك في البيت السادس عشر. وكما سبق القول فقد ذكر أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩هـ) في كتابه مسالك الأبصار نقلا عن يوسف بن زماخ الحمداني أن القديمات (وبطون أخرى سماها) من بني عُقيل من آل عامر. (الجاسر ١٤٠١-١٤٠٢: ٧٧٩).

٠١) يقول ابن حمّادٍ ومن لا يكوده مثايلٍ تِرثى بالهجا وتعاد
٠٢) وتصفيف ما لا كان الا ظليمه ورب المَلا للظالمين سداد
٠٣) ولا اعتَزّ من قال الهجا صوب غافل ولا نال من قال القبيح مراد
٠٤) فقم أيها الغادي على بنت حرّه وسيعة ما بين اليدين سَناد
٠٥) مكلّفةٍ وجنا صبورٍ على السرى تفزّز إلى طال المسير وزاد
٠٦) سرها وتلفي من عزانا جماعه أهل مقفلاتٍ بالعدو جياد
٠٧) فعمهم التسليم مني وقل لهم الاعلام فيها كاذبٍ ووكاد
٠٨) لفاني بلا جهلٍ كتابٍ مورّخ بذمٍّ وعندي كاغدٍ ومداد
٠٩) يقول ابن زيدٍ عيذ بالله خيلنا فهن مطاويعٍ وهن جياد
١٠) فأطوع منها خيلكم يوم دبّرت وهن من اطراف الرماح شراد
١١) يرفّعن بالسيقان عن كل مايق وهو بين طلاب الديون يقاد
١٢) وهن شرودٍ عن لقانا كأنها عليهن ركّابٍ وهن غواد
١٣) فيامبلغ جاني سلامي عساكر كما انه من روس الملوك وعاد

١٤) يقول بيوت الشعر يبغي تِعِلّق إلى نفرٍ سادوا عليه وباد
١٥) وهو كان مثل النار في دار عامر وصيّورها بعد الثقوب رماد
١٦) فقد طحت في أيدي القديمات وايتلوا زمامك ولا مِدّت عليك اياد
١٧) ومن يهجي القوم الذي يخفرونه عن الذبح مغزيٍّ بغير فواد
١٨) وقولك سيفٍ مات منا وهو لنا إلى شد للحرب العوان شداد
١٩) فلا مات إلا عنك وآزيت عقبه كما ثِمَدٍ ما عاد فيه معاد
٢٠) وقد كان باطراف الرماح على اجود وسِلِم ولا من عقب ذيك يعاد
٢١) وهو عقب ما قد داس فيكم جذت به جواده ولا عرجت عليه جواد
٢٢) وترثي لك الحسنى علينا ومنكر جمايل منها دارسٍ وجداد
٢٣) وإحداثك الخبثات جهرٍ وباطن وشرٍّ إلى ما قلت هَوّن زاد
٢٤) توري بنصحٍ وانت راعي مناجل معطّفة روس الرقاب حداد
٢٥) مدفّنْةٍ تحت الثرى جوف عنه غتارٍ لمن يبغى يعود يصاد
٢٦) فاسايلك بايات القران جميعها كما سلتني بالمرسلات وصاد
٢٧) وبالبيت وباللي يزار قبره محمد على الطول ما زال الحجيج يعاد
٢٨) من المبتدي فيما ذكرت ومن بقى يقاضى بسوٍّ فالسؤال يعاد
٢٩) ويوم شْراك التمر باغٍ طلوعه ولا عادت الأحسا لكم ببلاد
٣٠) وعدّاكم عنها كليب بن مانع وصار لحزمتكم فنا ونفاد
٣١) وجبتوا كما جابوا زيادٍ لواهج وغيره عن حر الوقيعه حاد
٣٢) جزيتوا كما جازا كليب بن وايل فثيرٍ بشرٍّ قبل ذاك فباد
٣٣) واشركت في الأعلام شيخان عامر تبادا وهم عما تقول براد
٣٤) نَحَن غصّةٍ في كبادكم كل لقيه إلى ثار ريعان العجاج وكاد
٣٥) يشوقك منا خَزّ الابطال مالكم يشَلّ وفرسان الغواة غواد
٣٦) ومن قبلة المطلاع فيكم وقيعه لجا غِلّها باقصى ضميرك زاد
٣٧) ولما قضينا وارتضينا على اللقا وزان القضا لي يابن زيد وجاد
٣٨) غديت وخلّيت السوام وزامل يفوق على البيدا بغير وساد
٣٩) قتلوا مشاكيل القديمات عيله بلا سببٍ ياعايلين عناد
٤٠) ولما قضيتوا وارتضيتوا وجيتوا إلى القوم كفٍّ قاطعين عناد

٤١) قتلنا لكم خمسٍ وعشرين سابق وتسعين قَلْعٍ والعجاج ركاد
٤٢) مع خمسةٍ منكم وعشرين خِلّيَوا لطير الفلا والضاريات معاد
٤٣) يعودهم السرحان والنسر والحدا وهم في صدور الناجيات جياد
٤٤) قضا في عليّانٍ وفي قتل مانع والاقلاد تدعي الخاينين رماد
٤٥) وقولك بقعا في بساتين مرغم والاوطان في سوق العراق بلاد
٤٦) نبايع فيها يابن زيدٍ ونشتري من اموالكم ما هي لنا بِنْلاد
٤٧) نجيها مع فجاج الخلا وانت غافل على ضمرٍ من مالكم وجياد
٤٨) على راي شيخٍ بالحروب مسلّط يخلّي قراشيع الخصيم بداد
٤٩) كليب زبن الجاذيات ابن مانع ومن له مبدا بالثنا ومعاد
٥٠) ان زدت زدنا يابن زيدٍ ولا لكم علينا بترديد الحديث رشاد
٥١) وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما سعى ساعٍ ونادى مناد

وبساتين مرغم في البيت الرابع والأربعين بساتين في الأحساء يقول فيها علي بن المقرب العيوني:

فخير لعمري من بساتين مرغم على ذي المجاري طلح نجد وشوعها

وهذه أبيات يحذر فيها ابن زيد شخصا اسمه سليمان من مناوأة أجود ويذكره بفضل أجود عليه. وبعد استطراده في مدح أجود يختتم بالدعاء لدياره بالسقيا والسيول التي يصف قوة جريانها ودفعها للغثاء في قوله «تجر الغثا جر السكارى برودها» وهذه صورة قريبة جدا من النسج الجاهلي، خصوصا وأنه يستخدم الكلمة الفصيحة «برود» التي لم تعد مستخدمة في لغة الشعر النبطي. وهذا المطر من الغزارة بحيث أغرق الغزلان، فما بالك بما هو أدنى منها من الحيوانات مثل الأرنب والأفعى والضب.

٠١) يقول ابن زيدٍ قيل باني مثايل جدادٍ قوافيها غريبٍ عقودها
٠٢) فقل أيها الركب الذي قد تقللوا على ضمرٍ من عيدهيّات قودها
٠٣) فردّوا سلامي يَمّ قومٍ تجمّعوا كما جمّعت عجمان سندٍ لبودها
٠٤) حذاري حذاري ياسليمان لا تكن فراشة نارٍ حين جاها وقودها
٠٥) ولا تنس جزلات العطايا من اجود إذا نسي جزلات العطايا جحودها
٠٦) فياويل كل الويل من حارب اجود إلى جر من روس البوادي جنودها
٠٧) ونادى المنادي للرحيل ودِنّيَت بليهيّةٍ مثل البنايا حيودها

٠٨) يـدنيـن لامثـال الـبدور مـلايح لـكـن ذيـول الـدهـم ضـافي جـعـودهـا
٠٩) إلـى مـا رْكِـبـن الـزمـل هـلـلـن رغـبـه إلـى الـلـه مـا فـاجـا الـمـعـادي سـدودهـا
١٠) فـمـا وِلْـد مـن عـصر الـنـبـي مـحـمـد ولا أرضـعـت بـيـض الـعـذارى نـهـودهـا
١١) بـأفرس مـن سـتـر الـعـذارى ابـن زامـل إلـى ذل مـن سـادات قـيـسٍ بـنـودهـا
١٢) جـواده عـرجـا والـمـنـاعـيـر كـنـهـا قـصـاصـيـب نـضـح الـدم كاسٍ جـلـودهـا
١٣) سـقى كـل مـا حلّـوا مـن الأرض مـرزم ألـكـن ديـاميـم الـمـصـاري رعـودهـا
١٤) مـقـتّـلـة الـغـزلان صـادقـة الـحـيـا تـجـرّ الـغـثـا جـر الـسـكـارى بـرودهـا
١٥) حـقـيقٍ بـهـا مـن أرض ما يـنـزل اجـود أبـا سـنـدٍ سـلـطـان قـيـسٍ عـمـودهـا
١٦) كـفـى الـلـه ذاك الـوجـه حـر جـهـنـم إلـى أسـعـرت وآزى حـديـدٍ وقـودهـا
١٧) وصـلـوا عـلـى خـيـر الـبـرايـا مـحـمـد عـدد مـا مـضـت بـيـض الـلـيـالي وسـودهـا

وفي قصيدة أخرى يطلب ابن زيد مـن نبيط بن ثابت أن يخلي دياره التي استولى عليها أجود ابن زامل معاقبة له على انحيازه إلى جانب أعداء أجود ومصاحبته لهم. يبدأ القصيدة بالوقوف على الأطلال ثم يستطرد في وصف الفلوات وما يسكنها من الوحوش والظباء. ويصف سرعة الـنعامة «سبرتات من الربد» بأنها تفوت الـخيل لفرط نشاطها وجودة المراعي التي ترتادها ولأنها «مقلات» لا يحيا لها ولد فيـنهكها برضاعه، وأنها لكبرها صار جلد أشداقها يشبه الجلد في «مواخير المواشي» أي مؤخرة البعير وما حول استه. سور هذه الديار وحاميها هي القنا والسيوف والخيل التى يدافع بها أهلها عنها. ويقول ابن زيد بأن تلك الديار هي أرض أجود وعلى نبيط أن يتركها ويبين عنها. وربما نستدل من ذلك على أن الجبريين في ذلك الوقت لم يقطعوا صلتهم بالبداوة والصحراء وحياة الرعي. فهو يقول في آخر القصيدة إن أجود يشتو الدهناء ولا يذهب إلى الأحساء إلا وقت جني التمر. وهذا ما كانت عليه حال بعض قبائل البدو حتى عهد قريب، وهو ما يسمونه «المحضار» والفعل «يحضرون».

٠١) يـقـول ابـن زيـدٍ قـول مـن شـدّ ضامـر جـمـالـيّـةٍ مـن عـيـدهـيّـات نـوقـهـا
٠٢) زفـوفٍ زهـوفٍ عـجـلـةٍ مـسـتـمـانـه مـن الـهـجـن وجـنـا طـيّـبـاتٍ خْـلـوقـهـا
٠٣) عـلـى ربـع دارٍ دارسٍ غـيّـر الـبـلـى وذكـرى لـيـالٍ طـيّـبـاتٍ وفـوقـهـا
٠٤) خـلا الـربـع إلاّ مـن ثـلاثٍ كـوانـف لـعـرفـانـهـا عـيـنـي سـريـعٍ رمـوقـهـا
٠٥) من الـرخمـات السـمر لـما ان عـرفتـها وصـحـبـي عـلـى قـودٍ قـلـيـلٍ رفـوقـهـا

٠٦) ربعت لها من راس عنسي وعبرتي ... على ملثمي بالما سريعٍ دفوقها
٠٧) من انكاري الدار الذي غيّر البلى ... جباها وكثّر في حياها حقوقها
٠٨) لوا شارع الصمان في حبل مشرف ... سقاها بهتّان الزبانا صدوقها
٠٩) مقتّلة الغزلان صادقة الحيا ... يشق الدجى نور السنا من بروقها
١٠) من الشعثميّات الذي تحجز اللوى ... إلى الزرق واليتم المغاني حقوقها
١١) عددت لها من يوم هجراني اهلها ... ثمانٍ وتغيير الليالي خلوقها
١٢) وتجفيل عنها كل بيضا من المها ... لكن سحيق النيل يحشى بموقها
١٣) لها معدنٍ في قرب حزوى ومسكن ... عن القيض في برد الثرى من عروقها
١٤) وكل سبرتاتٍ من الربد هرقل ... يكود على جرد السبايا لحوقها
١٥) من الشري والمرخ الذي جاده الحيا ... ويروّي انوار الخزامى فروقها
١٦) مرفّعةٍ مقلاة رالٍ لكنها ... من الكبر قفيات المواشي شدوقها
١٧) لدى ديرةٍ معمورةٍ سورها القنا ... ورزقي أسباب المنايا فتوقها
١٨) وكل غصينيٍّ وشعوا سريره ... وردى دَهَرٍ مات العدا عن ذلوقها
١٩) تبيّن عنها يانبيط بن ثابت ... فلا عقبٍ صحباك المعادي تذوقها
٢٠) فهي دار من يقري ويذري وينتخي ... وبِدّي عليها بالهوادي حقوقها
٢١) أبا سندٍ حرج الجواد ابن زامل ... إلى جذّبوا شرثاتها من لحوقها
٢٢) وافى الذرى ما خان يومٍ عميله ... والاعلام تلفي غربها من شروقها
٢٣) ولا طاوع البوقات في مال جاره ... والاقلاد ما تلفي إلى من يبوقها
٢٤) جزيل العطا ما يسرق الليل علمه ... بخلفٍ من اوعادٍ قليلٍ وثوقها
٢٥) سريع القِرى عيد المقاوى إلى ضووا ... على رخص بقعا أو على عِسِر سوقها
٢٦) يحل بها الدهنا إلى جاده الحيا ... والاحسا إلى طاب الجنا من عذوقها
٢٧) عوى حين حاربت المعادي لحربنا ... سراحين صوتٍ مخبثاتٍ وفوقها
٢٨) وجاد بها غضفٍ على بيت بوقه ... عكالين من دغم الجعارا وطوقها
٢٩) وصلوا على خير البرايا محمد ... عدد ما أضا من مزنةٍ في بروقها

وذكر في القصيدة من المواقع حزوى وهو موقع معروف في الدهناء ذكره ياقوت نقلا عن الأزهري الذي مر به حينما كان أسيرا عند القرامطة وأثبته في تهذيب اللغة، ويوجد الآن موقع جنوب الشملول يسمى زبارة حزوى. كما يذكر حبل مشرف الذي لم

أعثر له على ذكر في المعاجم لكن يبدو أنه يقع أيضا في الدهناء بالقرب من حزوى لأن الشاعر حينما يذكر الموقعين يذكرهما معا كما في القصيدة التالية التي يذكر فيها أيضا رماح الذي أصبح الآن بلادا عامرة للجمالين من قبيلة سبيع. ويرد في أشعار جرير والفرزدق والأخطل وذي الرمة ذكر المكانين مشرف وحزوى في سياقات تدل على أنهما قريبان من بعض وأنهما يقعان في الدهناء. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي يرد موقع باسم مشرف ومكتوب بعده إنه جبل. ولعل كلمة «جبل» محرفة عن «حبل»، كما ورد في القصيدة السابقة، وكلمة حبل كلمة فصيحة وعامية تعني ما طال من الرمل وامتد كالحبل.

والقنص هو موضوع الأبيات التالية ومعلوم أن رماح مشهورة منذ القدم بجودة مائها ووفرة ظبائها. ومثلما تغزل أبو حمزة بأميم يتغزل ابن زيد بحسنا. وبعد أن يؤكد حبه لحسنا يشيم البرق على ديارها ويصفه وصفا جميلا. ثم يخرج إلى وصف المغاني والديار والفلوات التي سيسقط عليها المطر والمراعي التي ترعى فيها الخيول التي في يديها تحنيب «حجنات الأيدي» والنوق الممتلئة ضروعها بالحليب «اللقاح الغدايق». وفي الأبيات الأخيرة وصف للفهد الذي كان ما زال يستخدم للصيد على زمن الجبريين. ويلاحظ ورود صيغة المثنى في «خليليّ ما لا تقعداني» في البيت الثالث، ولا ندري هل كانت هذه الصيغة موجودة في لغة الناس اليومية أيام ابن زيد أم أنه متأثر بالشعر الفصيح وقواعد الفصحى.

٠١) أرى الحب بالهجران يمحي ويمتحي وحبي لحسنا طول الايام عالق
٠٢) تصرّف أنواء القلوب ولا أرى نصيبي من اذكاري لحسنا مفارق
٠٣) خليلَيّ ما لا تقعداني فقد سرى على ربع حسنا والسباقين بارق
٠٤) سرى من مغيب الشمس ياضي لكنه وجوه العذارى طايحات البخانق
٠٥) تروى بثوب الليل ثم يشقّه سنا بارقٍ يغشى عيون الروامق
٠٦) أقول والانضا بين ملك ابن جوذر وبين الصفا شروى خفاف الزوارق
٠٧) عدا لي ولي في رب ملك ابن جوذر عهودٍ معاطيب الكرى ما يفارق
٠٨) أرى البين من ذا اليوم وارى زناده لعزل النيا بعد اجتماع الخلايق
٠٩) فياليتي ادري من رعى حبل مشرِف ولو كان لي بعد المدى عنه سابق
١٠) ومن نازلٍ حزوى إلى جاده الحيا ومن ينزف الما من فلاة الدفايق

١١) ومن يشرب الما من رماحٍ ويعتفي لحجنات الايدي واللقاح الغدايق
١٢) مراتع عين الجازيات الذي لها مكانس الارطا بالحبال الدقايق
١٣) على مستمانٍ ضافي العضد ضامر بها ليّن الضبعين دام المرافق
١٤) كتوم الرغا دبرٍ بالاوقاف وان هوت عليه العصا والاه دومٍ يسارق
١٥) مطيّة مهمومٍ بالاقناص مولع خبيرٍ من اولاد الحلال الوثايق
١٦) إلى شاف ميضاحٍ من الريم كنها عليهن من عالي قلال الشواهق
١٧) يظل بنمرا زينة القوف جسره على الصيد مرجامٍ حقوق الطوارق
١٨) سماويةٍ نمرا لكن صفاتها إلى حق من هدّاتها بالحقايق
١٩) على الصيد عرجونٍ قد اهفاه صارم من اكناف بعض الصافنات البواسق
٢٠) وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما همل وبل وما ذَرّ شارق

وهذه أبيات قالها ابن زيد يمدح فيها زامل ولا ندري هل المقصود زامل مؤسس الدولة الجبرية أم أحد أحفاده. وقد يوحي البيتان السادس والسابع أن المقصود هو زامل مؤسس الدولة الجبرية. ونراه في البيت الثامن يمدح زامل برجاحة العقل حيث يرضى بحكمه كلا الخصمين. ويصفه في البيت التاسع بالشجاعة وحسن القيادة والتدبير فهو بمئتي رجل يستطيع أن يهزم ألفا من الرجال.

٠١) يقول ابن زيدٍ قيل راعي قلايص إلهن بالاوزا لا يزال مهين
٠٢) حراجيج من لكد العراقيب ضمّر عليهن عادن السرى بقرين
٠٣) بفلاةٍ إلى ما جين خبتٍ عقنقل كما غاص في لج البحور سفين
٠٤) ولما ان وردنا منهلٍ عافي الجبا مع الفجر قد عاد الهدان يكين
٠٥) ضعاين لولاهن كنا علاقه مع البدو نغبى تارةٍ ونبين
٠٦) ضعاين يتلين الغريري زامل لكن جما حرجاتهن عرين
٠٧) على راي ملكٍ من عقيلٍ مجرّب لتالي المعايا الجاذيات ضمين
٠٨) يتالين شيخٍ شرعبيٍّ مجرّب نباه لكل الفيّتين يزين
٠٩) يتالين فصّالٍ على القوم نادر على الالف بحد المايتين يكين
١٠) عذي الردى ما شرب باقداح مسكر ولا بات من ترددهن رهين
١١) ولا كنفت معه الغواني ولا صبا لهن ولا صافى لهن خدين
١٢) بلا حيث ياتينا من الضد غاره وعاد لزمل المحصنات قرين

١٣) فهو فارس الهيجا وراعي فصايل برمحه ذا مقتول وذا طعين
١٤) وصلوا على خير البرايا محمد صلاةٍ بها رب العباد يعين

وهذه قصيدة وجهها ابن زيد لمحمد بن أجود الجبري ويبدو من البيت الأخير أنه يلتمس منه العذر لأمر بدر منه ويتحدث فيها عن وشاة السوء. لاحظ ورود صيغة المثنى مرة أخرى في «ياخليليّ»، «عينيّ»، «ياصاحبي»، «كليهما»، «اهتديتما».

٠١) لمن ربع دارٍ بين الاجلاد واللوى محا النقش من آثارهن العلايم
٠٢) من اطلالها هوج الذواري روايح من الغيث هطّال انسكاب الغمايم
٠٣) فأبلى خلاف العهد مني جديدها تقافى بها مر الجديدين دايم
٠٤) لها أنكرت عيني لولا ان حايلي رهينٍ لمن قد حل فيهن هايم
٠٥) بذكراي فيها يوم والبين لم يكن علينا بدا منها الأمور العظايم
٠٦) وعين الجفا عميا والايام وصلها جديدٍ وعنا صرف الاحداث نايم
٠٧) الى كل ما غطّى حمى مظلم الدجى فضا الأرض باذيال السواد الجهايم
٠٨) وغطى الجفا الاعيان عني تكفكفت سعاة الوشايا ناقلين النمايم
٠٩) والافلاك ذا بادٍ وهذاك غايب سريت لمنزل قانيات الوشايم
١٠) فواتٍ على عهدٍ على كون غِرّه قتيلٍ على مسعى طريق الظلايم
١١) سباه الهوى والشوق والصد والقلى والاعراض مفتوكٍ قليل الجرايم
١٢) سباني ورمّان الصدود غصونه فراشٍ ويشرب من قراح الوشايم
١٣) فقلت لمامونى خضيرٍ ومالك ودمع نظير اجفان عينيّ نايم
١٤) ألى ياخليليَّ الذي لي كليهما عضيدٍ على كل الأمور العظايم
١٥) وياصاحبَيّ الناصحين اهتديتما إلى الرشد واقبال الغنى والغنايم
١٦) عسى في بقايا لذّة العمر لي بها تعود الليالي بالذي كنت رايم
١٧) ونهنا بما قد سرّنا منه والمنى بمن بان عنا عقب ذا لي يلايم
١٨) فلما ان بدا لي منهما راي ناصح وشب فؤادي باستعار اللوايم
١٩) دع الشوق فالدنيا معاشٍ ولا بها سوى الله يامعدوم الاريا بدايم
٢٠) ولذ عن تصاريف الليالي الى عشى لك الدهر أو أمسى لك اليوم ظالم
٢١) لمحيي ندى الجود ابن جبرٍ محمد بنيل المعالي والعطايا الجسايم
٢٢) نتاج اجودٍ محيي ندى ميّت الثنا على الصغر من قبل ان يلوث العمايم

٢٣) أبا قاسمٍ باني بنا الجود والصخا نهى الجود مروي من عداه العلايم
٢٤) وحاوي جميلات المعاني جميعها وهي كان من بين البرايا قسايم
٢٥) حمى في ضحى الهيجا والارياق لغب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٢٦) وهي من حتوف البين شتى طرايد تواغل مطلع الثنايا هذايم
٢٧) طريحٍ طوى حبل الرجا من حياته من اسباب ليعات الردى غير قايم
٢٨) وبالجود جودٍ لا تزال جفانه تعادا بها حسك٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠بالولايم
٢٩) ويامن لجل المال بالجود بايع وللروح في يوم التهاويل سايم
٣٠) سهيلٍ علا للناظرين وقد بدا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠البوادي علايم
٣١) ولاح منٍ القيزان ما كان مقتم وشام عن اوطان القرى كل شايم
٣٢) ولا غير هذا لي إليكم وسيله ومثلي حقيقٍ بالرضا والحشايم

وفي القصيدة التالية يمدح ابن زيد هلال ويتحدث عن مغازيه وتوغله في بلاد عمان وحضرموت واليمن. وهذا خلافا لما ذكره المؤرخون من أن سيف بن أجود هو الذي أخضع عمان لحكم الجبريين. (الحميدان ١٩٨٠: ٦٦-٦٧). والراجح أن هلال، الممدوح، هو أخو أجود والذي خلف من الأبناء زامل وعلي. أما زامل بن هلال فإنه والد قضيب، ممدوح الشاعر عامر السمين، وجد مقرن بن قضيب، ممدوح الشاعر الكليف. أما علي بن هلال فإن ذريته هم الذين استأثروا فيما بعد بحكم عمان ومنهم قطن بن قطن الذي سنأتي على ذكره. تقول القصيدة:

٠١) ألى لا أرى حيٍّ تدوم حياته ولا إلفٍ الا عن أليفٍ مفارق
٠٢) ومن عاش بالدنيا يرى ما يشوقه إلى سِلِم منها أو يرى غير شايق
٠٣) وكلٍّ إلى ما ياذن الله صاير والافلاك فيها بين تالٍ وسابق
٠٤) محى الله من يرضى بما ليس يرتضى ومن يتلافا بالمعان الرمايق
٠٥) ومن يامن الدنيا ومن يامن اهلها إلى كان من ذات القلوب الحذايق
٠٦) صبرت اليٍن الصبر نهّى وانقضى بالاسباب ما لا يستطيق العلايق
٠٧) فلما جرى لي قد جرى لي وساقني عن الدار فيما ياذن الله سايق
٠٨) بالاكراه من غير اختياري وقد جرى وحقّت بالفرقا علينا الحقايق
٠٩) إلى بان إجنافٍ على غير زلّه وقالوا لي المستامنين الوثايق
١٠) إلى الدار فاتتك الحمايا من اهلها فبعها وودّعها وداع المفارق

١١) فقد نبحت من كل قومٍ كلابها خيالك بآثار الأمور العوايق
١٢) لك الله إن عزلت قلوصي لنيّه على الرشد جرّتها على من توافق
١٣) وقلت وقد بان الذي بي لخلتي على حَضَرات الناظرين الروامق
١٤) أياناق خبّي واقصدي بي لخيّر جزيل العطايا بالسنين الشفايق
١٥) أبو كل معروفٍ بالايمان والتقى هلالٍ إلى عام القسا منه طارق
١٦) ذرى كل مضيومٍ وراعي فضايل مديبٍ على كل المروّات صادق
١٧) عطيفة أبطال المناعير باللقا وزبن الدنايا في قحوم المضايق
١٨) ومن ليس يبقى عند الاعدا مجاره رميٍّ ولا صافي لزانٍ وسارق
١٩) مشامي إلى عَدّى منامي هواجس لطافٍ وما قد قدر الله سابق
٢٠) صفى دونه الما لى هفا منه مرتب ولا شيّنته المهلكات الطوارق
٢١) وقالوا تعدّى حضرموتٍ وقاده وساقه على ما ياذن الله سايق
٢٢) لميراد صنعا أو زبيدٍ وفتّحت مَعَ وجهه ابواب الحصون الغوالق
٢٣) وناست عني منه الاعلام وانطوى ضميري على شروى ضريم الحرايق
٢٤) ولاءٍ على سلطان قيسٍ وخافه من اسراف طلاب الجنايا الحنايق
٢٥) جفلت ارتياعٍ مثل ما فز جازي قد اعتان ألواح الضرا والزواعق
٢٦) قد ازعجه الا أن يعيد الذي جرى عليه وذلك من بنانيه سابق
٢٧) إلى بجوا الما من خفاف الى علا على من بنات الما خفاف الزوارق
٢٨) وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما همى وبلٍ وما لاح بارق

بالإضافة إلى قصائده في أمراء الجبريين ورد لابن زيد قصيدتان إضافيتان في مخطوطة سليمان الدخيل أحدهما في مدح ناصر ابن قشعم والأخرى في مدح شخص سماه مرة عدي ومرة ابو محمد. والقشعم قبيلة قديمة يظهر اسمها في التاريخ منذ سنة ٧٩٥ حينما كلف السلطان الظاهر برقوق الأمير ثامر بن قشعم بكف أذى نعير أمير الفضول في بوادي العراق والشام. وهذه القصيدة قالها ابن زيد في مدح ابن قشعم الذي يلقبه فيها بالملك ويصفه بالكرم. ويذكر الرحالة البرتغالي بيدرو تيكسيرا Pedro Teixeira الذي زار النجف وكربلاء عام ١٦٠٤م أن المنطقة كانت خاضعة للنفوذ العثماني إلا أن الكلمة النافذة كانت لناصر بن مهنا القشعمي الذي كان يعد نفسه ملكا، وإن كان يدفع الإتاوة للأتراك الذين يحكمون العراق. وفي البيت الثالث عشر يعبر ابن زيد عن أمله في

أن يحالفه التوفيق وتكون هبته من ممدوحه خيلا أصيلة طويلة الأعناق «طوال العلابي». وفي البيت الرابع عشر يصفه بأنه شميمي وقشعمي، وهي صفات تشابه قولهم غريري وضيغمي. وهو يمدح ابن قشعم بكثرة مغازيه وسبيه لمال الأعداء وأذوادهم حتى عاد من غزا معه من أصحابه وجيرانه يسوقون الغنائم إلى أهليهم. لاحظ إشارته في البيت الثالث إلى أنه أملى قصيدته على كاتب.

٠١) يقول ابن زيدٍ قيل باني مثايل جداد البنا للفاهمين تشوق
٠٢) أكنه عن مدحي للاوباش رفعه مخافة ميرادٍ على زلوق
٠٣) وقمت إلى قرطاسةٍ بيد كاتب وعودٍ شفا ماء المداد نشوق
٠٤) وعدّيت باصحاب المروّات ما بهم بلحنٍ على فعل الجميل سبوق
٠٥) كبار العنايا كم سبوا من قبيله على عجلٍ والملبسات رفوق
٠٦) وكم قاد لارقاب العدا من جريره لفى الجار منها والصديق يسوق
٠٧) وكم فوّضت في مال قومٍ على النقا جهاجيل مالٍ كالهضاب تشوق
٠٨) فياقازي منا على وسق ضامر كما انساق في لج البحور دنوق
٠٩) فيابشرٍ إن قابلت نزل ابن قشعم صليلٍ وصرناجٍ حذاه زعوق
١٠) وقابلت مَلْكٍ شرّف الله وجهه جزيل العطا واف الذمام صدوق
١١) أجاره ربي مدة العمر والبقا وساعفه المولى بطيب وفوق
١٢) وهذا وكيدٍ تتقي الخيل ناصر بها الخيل عن روس الرماح دروق
١٣) جزيل العطا واف الذمام ابن قشعم طوال العلابي من عطاه وفوق
١٤) شميمي الاوزا قشعميّ مجرّب كما السيف من بطن الجفير دلوق
١٥) ومن يحتنيها حنية الشبل قفوهم وهن بلباس الدروع مروق
١٦) شبيهه حرّ جا من البحر ناهض تقوده غرا مزنةٍ وبروق
١٧) دوارع برقٍ غب حومة الضحى بالاقناص ربدٍ فِقّعٍ وفروق
١٨) إلى أملط العليا عليهن جابهن كما النجم يِتّقد الشرار سحوق
١٩) وحل بهن شلعٍ وطرحٍ وعادهن من الموت عجلات الهزيم شفوق
٢٠) وحط له الطرّاح خيطٍ وباشق وجاهن وهو ما لهن يذوق
٢١) وصاده بجنحانٍ وداج بها الفنا كما يرتجي راع الجلوبه سوق
٢٢) فجا عند قناصٍ منيلٍ وعاد به بالاقناص لا رفضٍ ولا بفهوق

٢٣) غريمٍ لتيسٍ قد نزا من جريمه يريبه مذروب الجناح لحوق
٢٤) بوجه التلاقي والتلاقي مشيحه فياطال ما دَمّى لهن شدوق
٢٥) إلى من قَنَص يومٍ وقد عاد بينهن خلاطٍ على حفّانةٍ وعقوق
٢٦) فصيده عشرٍ مع ثمانٍ وروّحوا على الكف مذروب الجناح لحوق
٢٧) عشاهم من يمناه ضمنٍ الى لفوا ولاولادهم مما يصيد حقوق
٢٨) خضيب يدٍ مسموم الاظفار غيهب لكن بعينيه السراج علوق
٢٩) لكن شعيل الزند يوضي بوجهه ربى وحش ما قط حِطّ فيه سبوق
٣٠) لكن عظام الجزر من حول بيته شظاب غربٍ للحاطبين فشوق
٣١) عسى الله بالغفران يمحى ذنوبه ووفَّقْه المولى بطيب وفوق
٣٢) وصلوا على خير البرايا محمد نبي الهدى للعالمين صدوق

وهذه قصيدة ابن زيد في مدح عدي ابو محمد. يبدأ بالشكوى والتحسر على فراق القبيلة والديار. وهذه هي النغمة السائدة في شعره. وفي البيت الثاني من القصيدة السابقة قال ابن زيد إنه يترفع عن مدح الأوباش فدرره الشعرية أثمن من أن يبتذلها في مدح أشخاص لا شأن لهم. ويكرر نفس المعنى في هذه القصيدة فهو يختزن في صدره أبياته الجميلة ويتنقل بها من مورد ماء إلى اخر بحثا عن من تليق به ويليق بها.

٠١) إلى الله أشكو فوت لاما قبيله قمينٍ بها بَتّ القوي من خصيمها
٠٢) وهجران من غير اختياري منازل أبى القلب ينسى ما مضى من قديمها
٠٣) مني وخلاني بزورا من النيا صروم شظا لام الأخلا وخيمها
٠٤) بل العزا مقسوم الالاف كلما تلا قسمة لقى العيا من قسيمها
٠٥) أو السكر من مختومةٍ بابليه يصده عن عرفان الاشيا غشيمها
٠٦) فقلت ايها الركب الذي قد تقللوا على ضمرٍ يطوي الفيافي جسيمها
٠٧) بعاد المماسي كم تجهّلْن منهل وجفّلْن مَن عين الجوازي وريمها
٠٨) ومن هرقلٍ زيّافةٍ كن ساقها عصا عْشَرٍ بيضا بقايا هشيمها
٠٩) عفى الجباً من برد ماها مضلّه بها القوم تعتاد الرزايا رميمها
١٠) متاهة هتيميٍّ وميراد قله وكلمور من حمر المواطي قديمها
١١) كن الجوازي في رباها إلى أزا نباته من نو الزبانا عميمها
١٢) لهم جثّمٍ مثل الثريا ربابها وينعاد بالغايات منها ظليمها

١٣) وهاجرةٍ صاليت انا فوح حرّها من القيض يشوي ما يوالي سميمها
١٤) عُجا وابلغا مني عديّ ومن له فضايل يغني صفر الايدي عميمها
١٥) بسلامٍ ومن بعد السلام رساله تعد مع الراوي قليلٍ ذميمها
١٦) خزينةٍ مكّارٍ لها غير مرخص إلى غيرها قد غيّر السوم سيمها
١٧) أبيت بها عن مدح الانذال رفعه والاجواد ما تعطى الرزايا ذميمها
١٨) وجنّبتها من ماردٍ صوب مارد مخافة ميرادٍ مهينٍ يخيمها
١٩) لميراد جودٍ من جدا بو محمد ومدير عليها تعادا يميمها
٢٠) ونخوات مجدٍ ما جذا عن صغيره من المجد متلافٍ لغالي جسيمها
٢١) ومنّاع رثّات السبايا عن القنا إلى انقاد من بعد اجتوالٍ هزيمها
٢٢) وعيد مراميلٍ يقودون ضمر إلى سنةٍ عض البوادي حطيمها
٢٣) ثقيل الجنايا فاضل الجود ما إلى تنكّرت الدنيا شكا من عظيمها
٢٤) وصلوا على خير البرايا محمد نبي الهدى أزكى قريش رحيمها

جعيثن اليزيدي

من آل يزيد من بني حنيفة. يقال إنه كان أمير الجزعة في نواحي الرياض. من أشهر قصائده تلك التي قالها مادحا مقرن بن زامل بن أجود، وهي قصيدة هلالية الوزن معروفة يتداولها الناس ويستشهد المؤرخون بالبيتين الواحد والعشرين والثاني والعشرين منها على امتداد سلطة الجبريين وتبعية نجد لهم. وترسيم حدود مملكة الممدوح ومجال نفوذه تقليد درج عليه شعراء النبط، كما في الأبيات من التاسع والخمسين إلى الواحد والستين من القصيدة التي قالها أمير البير محمد بن منيع العوسجي في مدح سعدون بن محمد آل غرير. يقول جعيثن:

٠١) رخا العيش ضمْنٍ في اقتحام الشدايد ونيل المعالي في لقا كل كايد
٠٢) ولا راحةٍ إلا رواحٍ على الشقا بهضم المعادي واقتحام الشدائد
٠٣) والاعمار ما منها عديدٍ كما مضى وما فات منها قد مضى غير عايد
٠٤) وعسر الليالي مستعادٍ ليسرها كذا قال بالتنزيل وافى الوعايد
٠٥) وبرد الليالي هو سنادٍ لحرّها يزول ولا يبقى سوى الله واحد
٠٦) وتدبير الاشيا في دواوين جدول على كل ما يغبى وما كان شاهد

٠٧) ومن طمع في نيل البقا ناله العنا ولاج له ولا له من الناس فايد
٠٨) فعش طالب العليا فما دمت مجهد فما يدرك المطلوب من لا يجاهد
٠٩) كما النار توريها ويازي شرارها شديد القوى ما بين عودين زايد
١٠) فقلت ولي من غالي البين مقسم نفاق الأيادي من غزير القصايد
١١) فياناق من وادي نعامٍ تقللي وأرجي لك التوفيق ضد الشدايد
١٢) فسيري وبالك لذة النوم والكرى ولو عاد في صعب الاخطار الجدايد
١٣) بل هذاك معقودٍ مشاويح بالسرى بحر محول للبحور الصياهد
١٤) لهن عزل المرعى مقامات شافق كما يعتري حوفٍ لنا كل كايد
١٥) ولا تذخر بالقران في نايل الصخا وذراي مع العيد الحرابر بعايد
١٦) لعل خلاف السير ياناق والسرى وقطع الفيافي والديار البعايد
١٧) تزورين بي سمح النبا إبن زامل مقرن مناي لشبك ضيم الشدايد
١٨) ولاقيت بعد السير ياناق مقرن وقابلت وجهٍ فيه للحمد شاهد
١٩) نشا بين سيفٍ والغريري زامل فيالك من عمٍ كريمٍ ووالد
٢٠) وبين اجودٍ سلطان قيسٍ وركنها عن الضيم أو في المعضلات الشدايد
٢١) حمى بالقنا هجرٍ إلى ضاحي اللوى إلى العارض المنقاد نابى الفرايد
٢٢) ونجدٍ رعى رِبْعِيّ زاهي فلاتها على الرغم من سادات لامٍ وخالد
٢٣) وسادات حجرٍ من يزيدٍ ومزيد قد اقتادهم قود الفْلا بالقلايد

والبيتان التاسع عشر والعشرون من هذه القصيدة من الشواهد التي يستدل بها الدكتور الحميدان على أن مقرناً ليس إبنا لأجود وإنما لزامل بن أجود. يقول الحميدان «يفهم من هذه القصيدة أن سيفا هو عم لمقرن وأن زاملاً هو والده ونحن نعرف بأن كلا من سيف وزامل هما ابنا أجود. هذا مع العلم بأن الشاعر الجعيثن لم يصف في قصيدته أجود بأنه والد لمقرن. ويمكن أن يفهم من قصيدة هذا الشاعر المعاصر لمقرن بأن مقرنا هو ابن زامل وحفيد أجود» (الحميدان ١٩٨٠: ٦٩).

ولجعيثن اليزيدي قصائد أخرى غير مدحته لمقرن منها قصيدة هلالية عدد أبياتها إحدى وخمسون بيتا أوردها سليمان الدخيل (ص ص ٣٢٨-٣٣١). كما ترد القصيدة نفسها في مخطوطة محمد الحساوي التي اشتراها منه سوسين (ص ص ٣٦-٤٠). والقصيدة في مدح ابن درع أمير حجر والجزعة الذي يسميه عبدالمحسن في البيت

الأربعين، وهو من الدروع من بني حنيفة. ومعلوم أن مانع بن ربيعة المريدي، الجد الثالث عشر للمغفور له جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وفد على ابن درع أمير حجر والجزعة في منتصف القرن التاسع من مكان يقال له الدرعية قرب القطيف. وقد منح ابن درع المليبيد وغصيبة لمانع بن ربيعة المريدي. ويذكر مؤرخو نجد أن آل يزيد الحنفيين الذين منهم جعيثن كانوا يملكون النعيمة والوصيل في المناطق الواقعة ما فوق المليبيد وغصيبة من ناحية الدرعية. ولم يلبث ربيعة بن مانع المريدي أن قويت شوكته وحارب آل يزيد. ولما استقل موسى بن ربيعة بالولاية بعد أبيه كثر أتباعه من المردة والموالفة وصبح آل يزيد في النعيمة والوصيل واستولى على ديارهم. وصارت وقعته بهم مشهورة يضرب بها المثل في قولهم «صبح آل فلان صباح الموالفة لآل يزيد».

يستهل جعيثن قصيدته بذكر الشيب وذمه. وبعد ذلك يورد بعض الحكم والنصائح ويوصي بالحزم والاستعداد لتقلبات الدهر ومفاجآت الحياة. وتقلبات الدهر بين الشدة والرخاء من المواضيع التي يعيد جعيثن الكلام فيها كثيرا كما في هذه القصيدة وفي القصيدة السابقة. وهذه في الواقع هي فلسفة الصحراء التي تعكس حدة وصرامة المفارقة في الطبيعة الصحراوية بين مواسم الخصب ومواسم القحط. وهي تعكس أيضا ما يلاحظه الأعرابي من حركة الأفلاك والنجوم التي لا تستقر في سماء الصحراء الصافية الزرقاء. يتسلح ابن الصحراء بهذه الفلسفة ضد القنوط واليأس في حالات الشدة وكذلك ضد التراخي والكسل في حالة الرخاء لقناعته بأن أمور الدنيا لا تثبت على حال. وبعد أن يُفرغ ما في جعبته من حكم ينتقل إلى وصف البرق والرعد والأمطار ليتخذ من ذلك مخرجا لطيفا للولوج إلى غرض القصيدة وهو المدح مثلما فعل عامر السمين في مدحه الشريف بركات والعليمي في مدحه قطن بن قطن والشعيبي في مدحه بركات المشعشعي. ويلجأ شعراء النبط كثيرا إلى هذا الأسلوب في حسن التخلص. بعد أن يصف المطر وأثره على المراعي والفلوات، خصوصا إذا انصرم الشتاء ومال الليل نحو القصر «قصر ما كان طايل»، يقول بأن القبائل تفد بأذوادها وحلالها إلى مساقط هذا الغيث لترعى في مراعيها الوفيرة مثلما يفد المحتاجون إلى ممدوحه. ومرة أخرى نصادف في البيتين الخامس والعشرين والسادس والعشرين صيغة المثنى التي سبق أن صادفناها في شعر ابن زيد.

٠١) أبا الموت لا يبقى التلى والأوايل وظل الصبا عن شارق الشيب زايل
٠٢) وما الشيب إلا رايد الموت والفنا بذا عارفٍ من كان بالناس عاقل
٠٣) فواوجعتي من دولة الشيب كيف لي بعصر الصبا أصبح بفرقاه مايل
٠٤) بكفّي ولا ظنّي بغيري ولا انقضى ولا لي ولو طال اتّباعي بحاصل
٠٥) رعى الله أيام الشباب التي مضت وعصرٍ لنا من دونه الشيب حايل
٠٦) فما هنّ إلا لذّة العيش والبقا ولو كنّ في زعمي ليالٍ قلايل
٠٧) هي العمر وانا عقبها مثل مذهب مطاياً ببيدا طايحات النقايل
٠٨) فلكنّها عقب المكافات فارقت وراحت لسوّ البين منها سلايل
٠٩) وسيق لغارات الليالي خلاف ما قطعن عن اللاما مناع الوثايل
١٠) بكيت على عصر الشباب الذي مضى وقد لاح شيب الراس بين الخصايل
١١) كما قد بكى طفلٍ سقيمٍ سقامه على غير مهلٍ من فطامٍ معاجل
١٢) فقلت لمن هو عن قصاياي ناشد ومن هو عن احوالي على النأي سايل
١٣) دع الناس فيما تبتدي منك زله خلاف التواني واختلاف العواذل
١٤) صديقٍ ودع ما خفي يغبا على العدا فما لك في تبيين ما غبي طايل
١٥) فربّة مكروهٍ تمنّى له الردى يجي منه نفعٍ فوق ما أنت خايل
١٦) وربّة مامونٍ تمنّى حياته يصيرٍ لما تدا من السو فاعل
١٧) فلا تطو ياسٍ من رجا وصل مبغض ولا تخل بالٍ من عداة النحايل
١٨) ودع لك من دون المصافي سراير ودون المجافي من خباث الدغايل
١٩) ودع عنك من ذا الناس واياك أن تنم على أمن في ظل الضحى والقوايل
٢٠) فكم صيد بالحسنى من الناس محسن وهو نايمٍ في ظل ما كان فاعل
٢١) وكم أيقضت لاسباب راعي خديعه أنا قبل أسوّيها عن الخوف غافل
٢٢) فلا خيرٍ إلا ضد ما الناس أهله ولا صيدٍ إلا في غبي الحبايل
٢٣) ودع لام من يدني ملامٍ وصاله فذكرك مقرونٍ مَعَ من تواصل
٢٤) كذلك قبل العرف ناسٍ تقودها إلى الولف أصحاب النفوس الرذايل
٢٥) فقلت لمامونيّ عيني وقد حمى لذيذ الكرى عنها الهموم الهواشل
٢٦) خليلَيّ قوما نستخيل مهدهدٍ بكير الحيا يسقى الديار المحايل
٢٧) صدوقٍ دفوقٍ بين باكٍ وضاحك عريضٍ مريضٍ بين هامٍ وهاطل

٢٨) لكن ابتسام البرق فيه إلى انجلى دجى خرمس الظلما رفاع المشاعل
٢٩) ورعده كصوت النفخ في الصور ساقه هبوبٍ من المنشا خفاف الزلازل
٣٠) ترى منه غاديّ المغاني وكلما رغابٍ من الوديان جارٍ وسايل
٣١) فكم غاف غافي ما غفى من نباته وكم صاف صافي ما صفى بالثمايل
٣٢) عفى واكتسى من ناعم النبت كلما وطا من ذرى الاربا وطمن المسايل
٣٣) وضحك به النوّار من دمع ما بكى عليه من انوا هاميات المخايل
٣٤) لكن اختلاف اصناف غيّاف نبته بالازهار لما قِصر ما كان طايل
٣٥) تخالف وشيٍ من زواليّ عبقر لها ناشرٍ في عجّة السوق باذل
٣٦) يقادي ندى جود ابن درعٍ جنابه عشيّة قادتنا إليه الوسايل
٣٧) وساري هموم والمقادير والرجا سما بين غشميّ السرى والقوايل
٣٨) وعظّم بالعرفان قدري وشيمتي ومن جهل قدري كان بالناس جاهل
٣٩) وواجهت ما فوق الرضى منه والمنى وجا فوق خيلاي الذي كنت خايل
٤٠) أخا الجود عبدالمحسن اللي على القسا رفيع الثنا أمسى لما زان باذل
٤١) فتىً كلما زاد الغلا جاد بالسخا لجارٍ ومنيوبٍ وعانٍ وسايل
٤٢) فمن بحره الميّاح وافيت جوده شفت من لظى قلبي لطاف المسايل
٤٣) ولا نسي معروفٍ ولا داس منكر ولا شيف يومٍ عن قدى الحق مايل
٤٤) همامٍ عن الفحشا عفيفٍ وبالرضا لطيفٍ وفي الأعدا عنيف الفصايل
٤٥) وفي الشدة الكبرى من العسر والغلا رعى من شتات الجود ما كان هامل
٤٦) فحجرٍ على حجرٍ من الجود غيره وعنصره الزاكي كريم الشمايل
٤٧) سجايا نفوسٍ بالسخا أريحيّه وكمّلها بالجود من كان كامل
٤٨) أسودٍ على الأعدا بحورٍ على القسا وللجار أطوادٍ رفاع المنازل
٤٩) وهو شمعةٍ يوضي سناها ونورها وبه يتّقي أجوادها والرذايل
٥٠) وله بذل حسنٍ في جنابه يدلّها عليه ببذلٍ للعطا والفضايل
٥١) وصلوا على خير البرايا محمد نبي الهدى أزكى جميع القبايل

ولجعيثن قصيدة أخرى قالها في مدح عبدالمحسن بن سعيد بن درع على بحر الهزج وتغلب عليها الفصاحة. ويخطئ ابن يحيى والربيعي في قولهما إن القصيدة قيلت في مدح أمير منفوحة عبدالمحسن بن سعيد الذي ينتسب إلى قبيلة سبيع، لأن زمن هذا

متأخر عن زمن جعيثن وقد ولاه إبراهيم باشا إمارة منفوحة بعد هدم الدرعية. وقد مر بنا في القصيدة السابقة أن الاسم الأول لابن درع عبدالمحسن. وقد نشر منديل الفهيد أبياتا من القصيدة في الجزء الثالث من مجموعه من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية (١٤٠٣: ١٩-٢١) وسنوردها كاملة أدناه. والبيت الثاني في القصيدة فيه تضمين، أي لا يتم معناه إلا بربطه مع البيت الذي يليه. وحينما تبدأ بالقراءة تجد نفسك تقرأ القصيدة على الوزن الفصيح ثم فجأة يقع لسانك على كلمة عامية مثل كلمة «برّق» في قوله «وبرّق باليمين وبالشمال»، أي انظر بتمعن وتفحص في أي اتجاه تريد وستجد أناس غيرك داهمتهم المصائب وتوالت عليهم المتاعب فلست وحدك المعرض للنكبات، وهذا مما يوجب عليك الصبر والتأسي بالآخرين. وتصادفنا في البيت العاشر كلمة عامية أخرى هي «يْشاف» بمعنى «يُرى» وكلمة «شوف» في البيت الذي يلي ذلك وهي في نفس المعنى. كذلك تقتضي إقامة الوزن نطق الضمير «هو» في البيت الثاني عشر نطقا عاميا.

١) تصاريفُ الزمانِ إلى الزوالِ ... فعش ما عشت في طلب المعالي
٢) فطالبها بشرفات النواجي ... وبالسمر المثقّفة الطوالِ
٣) قمينٌ أن يكون وإن تمادت ... لها لو عَزّ مطلبها ينال
٤) وكل معيشةٍ فيما سواها ... على من عاش بالدنيا وبال
٥) ولا تأسى على النكبات فيها ... وبرّق بالجنوب وبالشمال
٦) ولاق الحادثات بعزم ليثٍ ... ولا تجزعك شدّات الليالي
٧) فشدّات الزمان مقدّرات ... على من هي عليه بحكم والي
٨) فللشدّات أفراجٌ ولين ... وللضيقات عقدٍ وانحلال
٩) وإن بسطت لك الدنيا جناحاً ... وصرت من الزمان على اعتدال
١٠) فلا تهمل فما للخوف رعدٌ ... ولا برقٌ يشاف ولا خيال
١١) فما يبدي أفول البدر حتى ... تراه الناس في شوف الكمال
١٢) فهو في مرّةٍ بدرٌ منيرٌ ... وهو بالمرّة الاخرى هلال
١٣) إلى ما بان لك بالدار صغرٍ ... وهنت خلاف شوفك بالجلال
١٤) فودّع ما يشوقك واسل عنها ... وفارق وابتدل حالٍ بحال
١٥) فما يرضى رفيع القدر ذلّ ... ولو كانت مطيّته النعال
١٦) مقامك في بلاد رخصت فيها ... فما غالي سوى عرضك بغالي

١٧) فـلا يـنـفـعـك فـي دارٍ مـقـامٍ وقـدرك فـي ربـوع الـدار خـالـي
١٨) ولا يـنـفـعـك في سِـمْـلٍ مـرقّـعٍ ولا فـي صـاحـب الـسـوّ الـعـذال
١٩) ولا يـنـفـعـك زادٍ كـلـتـه امـس إلى مـا اصـبـحـت بـطـنـك مـنـه خـالـي
٢٠) ولا يـنـفـعـك فـي دِقّ الـمـعـانـي ولا فـي حِـلّـهـا غـيـر الـرجـال
٢١) ولا يـنـفـعـك جـدّانٍ كـرام إلى خـابـوا نـسـولـهـم الـتـوالـي
٢٢) وإن شـفـت الـحـشـيـمـه مـن كـريـمٍ غـنـيٍّ عـنـك ذو عـزّ ومـال
٢٣) يـنـالـك مـنـه خـيـر كـل يـومٍ ولا يـسـمـع قـبـالـك بـكٍ مـقـال
٢٤) فـجـاز جـمـايـلـه مـا دمـت حـيّ وكـن فـي حـاجـتـه وَلْـدة حـلال
٢٥) وعـاد لـمـن يـعـادي مـن عـدوه ونـل بـالـطـيـب صـحـبـة مـن يـوالـي
٢٦) وراعـه بـالـقـفـا والـوجـه واحـذر تـوافـق كـل هـمّـاز نـمـال
٢٧) وحـاذر أن تـكـن مـفـتـاح شـر وتـحـدث بـالـرفـاقـه قـول قـال
٢٨) فـتـضـحـي في أمـورٍ مـهـلـكـاتٍ حـقـيـق بـالـعـقـوبـه والـنـكـال
٢٩) فـقـلـت لـطـيّـب الـمـنـشـا عـلـيّ رفـيـعٍ بـالـثـنـا زيـن الـفـعـال
٣٠) ومـن لـو حـل بـي نـايٍ وهـجـرٍ رعـانـي بـالـمـودّه والـوصـال
٣١) إلى مـا عـشـت عـشـت بـدار خـيـرٍ أمـنـت مـن الـمـكـاره والـضـلال
٣٢) رسـالـةٍ اخـتـصـرت بـهـا مـديـحـي وجـاك بـهـا رسـولٍ مـن قـبـالـي
٣٣) إلى وصـلـتـك دمـت بـحـال خـيـرٍ وجـنّـبـك الـمـكـاره والـظـلال
٣٤) بـهـا يـنـبـيـك مـجـروحٍ مـطـيـعٍ بـجـاري الـحـبـر بِـنْـتَـلّ انـتـلال
٣٥) عـلـى صـفـح الـسـجـل مـتـرجـماتٍ بـخـطٍّ لـه نـظـيـر الـعـيـن تـالـي
٣٦) فـعـبـدالـمـحـسـن بـن سـعـيـد أقـره سـلامٍ والـجـمـاعـه بـالـمـضـا لـي
٣٧) هـو اتـقـى مـن نـزل وادي حـنـيـفـه وأنـقـى سـاكـنـيـه بـكـل حـال
٣٨) وأشـرفـهـا وأرفـعـهـا جـدود وأعـرفـهـا بـحـالات الـرجـال
٣٩) وأصـدقـهـا وأوكـدهـا وعـود وأبـذلـهـا وأجـزلـهـا نـوال
٤٠) وأصـفـاهـا وأضـفـاهـا جـوار وأشـجـعـهـا إلـى ضـاق الـمـجـال
٤١) وأرشـدهـا وأوكـدهـا كـلام وأبـعـدهـا عـن ادنـاس الـخـمـال
٤٢) فـتـىً مـا لـه سـوى الـعـلـيـا مـشـام ولا عـن قـيّـم الـدنـيـا ابـتـهـال
٤٣) ولا عـن مـقـصـد الـدنـيـا انـعـزال ولا عـن مـطـلـب الـديـن انـشـغـال

٤٤) صليب عزايمٍ راعي نفوع عـلى الحاجات حلواتٍ جلال
٤٥) فتىً قسم الإله لنا نوال جزيلٍ من يديه بلا سوال
٤٦) لكن عطيّته تهدين خير عشيّةً من يمينه مدّها لي
٤٧) على شكواي من حاجات وقتي بلا ميـنٍ يكون ولا احتيال
٤٨) جزاه الله في دنياه خير ينول مراتب العز الطوال
٤٩) وفي يوم القيامه جعل يعطى كتابه باليمين عن الشمال
٥٠) وصلى الله على سيد قريش عدد ما لاح برقٍ في خيال

ويورد سليمان الدخيل (ص ص ٣٢٤-٣٢٦) قصيدة من سبع وثلاثين بيتا على بحر الطويل قالها جعيثن في هجاء شخص دعاه ابن حراش ويصف فيها ما جرى بينهم من وقائع وحروب ويختتمها بإعلان ولائه لداره التي يجد الغذاء في نخيلها والدفء في مساكنها. وشتان بين لغة هذه القصيدة المقذعة وبين اللغة المهذبة التي يستخدمها جعيثن في قصائد المدح السابقة. وهذا مما يؤكد تفوق جعيثن وفحولته الشعرية. والقصيدة تبين لنا أن جعيثن كان رجلا ذا شأن عند قومه فهو يقود عشرين منهم للفتك بمئة من خصومهم. ولو لم يكن شخصا مرموقا لما تجرأ على القول «من جهل قدري كان بالناس جاهل» في البيت الثامن والثلاثين في القصيدة السابقة. والأبيات الأولى التي يفتتح بها قصيدته في ذم ابن حراش يوجه فيها اللوم لبعض جماعته ولا يمكن أن تصدر هذه اللهجة إلا من رجل له مقامه ومنزلته. كما أن قصائد المدح التي مرت بنا لجعيثن ليس فيها مسألة ولا خنوع وإنما مجرد تعبير عن شكر الشاعر للمدوح لما أسداه له من جميل. وأكاد أجزم أن جعيثن حامل علم ورجل مطلع يدل على ذلك استشهاداته الدينية والأدبية واستخدام المحسنات البديعية في شعره مثل الجناس في البيت السادس والأربعين من القصيدة السابقة والطباق في البيتين السابع والعشرين والثالث والثلاثين في القصيدة نفسها. كما يرد ذكر الكتابة وأدواتها في الأبيات من الثاني والثلاثين إلى الخامس والثلاثين من قصيدته في مدح ابن درع السابقة التي يبدأها بقوله: تصاريف الزمان إلى الزوال. وإذا صح زعمنا بأن جعيثن رجل متعلم فلربما يفسر ذلك ما نلاحظه على شعره من فصاحة تفوق فصاحة بعض من تقدموه من شعراء الحقبة الجبرية مثل ابن غنام وابن زيد وابن حماد والذين بحكم تقدمهم في الزمن يفترض أن يكونوا أفصح منه. وهكذا نستطيع تحديد بعض ملامح شخصية الشاعر ومكانته الاجتماعية من خلال تتبع قصائده بالدراسة والتحليل.

أما ما ذكره عن العساكر في البيت الثلاثين وجليلة في البيت الثالث والثلاثين فقد أفادني مشكورا الأستاذ عبدالله بن محمد المنيف من أهالي الرياض بالمعلومات التالية «آل عساكر من الأسر الموجودة الآن في الرياض ويرجع نسبهم إلى بني حنيفة . . . وجليلة جدتهم أوقفت بستاناً في غرب الرياض باسمها والذي حرّف الآن إلى خنشليلة، ولهذا الموقع ذكر في كتاب الشيخ المنقور المعنون الفواكه العديدة أو مجموع المنقور».
يقول جعيثن في ذم ابن حراش:

٠١) بقولٍ وهذا للفتى بن مبارك ولا يدرك العليا من الناس غادر
٠٢) لو ادركها صارت قليلٍ دوامها وأيامها غبرٍ قباحٍ شراير
٠٣) قل الله لي من فوت لاماً قبيله سعى بينها الواشي بخبث المساير
٠٤) عصاةٍ على الداني مطاويع للعدا أكِفّا عن المعروف عِمْي البصاير
٠٥) سعت بينهم لاعدا بالاشوار فاصبحوا بالاقدار صرعى في لحود المقابر
٠٦) فيامبلغٍ ملفوظ قيلي مثايل تنزّه عن طرق الخنا والجهاير
٠٧) قضا لابن حرّاشٍ ومن كان عارف وكنت لذاك الرجل بالعقل هاجر
٠٨) ومن بعد ما في غاية الكبر زاده نقيصة عقلٍ في نهى الشيب هاذر
٠٩) ولما ان بدا في عارضيه تواضحت عواين شيبٍ بيّناتٍ جهاير
١٠) يدوس معانٍ تغضب الله في غد ومن لا يداري طاعة الله جاير
١١) يمدح عيانٍ بما كان قبل ذا بانوا مقاصدها عظيم المقادر
١٢) كمبصر في عيني قذاةٍ صغيره وفي ناظريه الجذل بين المحاجر
١٣) فلولا مخافة ان يقال انت صادق ولا للملا إلا عدود الظواهر
١٤) لما جاك مني يابن حرّاش كلمه وكنت لما جا منك ياعيّ صابر
١٥) فأنت كما الكلب الذي يجلب القضا بنبحٍ وهو في رفّة البيت حاجر
١٦) وبوقاتك ان عدّدتها طال شرحها وحال على الراوي نباهن ظاهر
١٧) وحلفٍ على حلفٍ لحيٍّ مبارك على ذاك ابو معن الدلاميّ حاضر
١٨) وعقب عهودٍ خان فيها محمد والاقلاد رثّاتٍ منـاعٍ طراير
١٩) وفاجيت زحّامٍ بدهيا مصيبه يغنّي بها ريد الضحا كل سامر
٢٠) ودعته يحفّن يابن حرّاش بالعصا لدمٍّ يجي من نايط الروح فاير
٢١) وهو سالمٍ من حلفنا واختباره وحق المصلّي والدعا بالمشاعر

٢٢) وجدّدت قول الذيب للشاة قبل ذا تكدّر بالضلفين صاف المغادر
٢٣) وقتلتهم في شهر الاحرام بوقه وهي لك عند الله بئس الذخاير
٢٤) وفعلي فمعكم يابن حرّاش علمه بلاجى الحشا مثل الدخيل المخامر
٢٥) توهدنتكم من بعد ما نامت الملا وقد غابت ارداف النجوم الزواهر
٢٦) بعشرين منا تقدع ارداف سطوه لدى ساعةٍ قد نامها كل ساهر
٢٧) على ميّةٍ منكم فأقفى زميمكم كما الهيق عنا يابن حراش صادر
٢٨) وخلّى العذارا حِسّرٍ في ربوعها تفادى موار بين الاضفان منازر
٢٩) وأضفيت ذاك اليوم مني مجوره على البيض عن تعراة الابدان ساتر
٣٠) واقفيت عنها مستباحٍ من العزا وفزّعت أجوادٍ كبار العساكر
٣١) فهذا هو الفعل الذي يوجب الثنا وفعلك عما يوجب الحمد قاصر
٣٢) فلا تحسبونا ننتهي عن طلابها ولا ننسها حتمٍ إلى يوم حاشر
٣٣) جليله معروف الحساني إلى حنى عذوق نواميها سواة البواكر
٣٤) ودافي ذراها في شتاها إلى سرى من الشرق هبّات الرياح البواكر
٣٥) فمن لا يؤدي حقها في ربوعها بضرب الهنادي واحتمال الجرايز
٣٦) يموت على غبنٍ كليلٍ من العمى وعقب العمى غدٍ إلى النار صاير
٣٧) وصلوا على خير البرايا محمد عدد ما أضا برقٍ وما هل ماطر

عامر السمين

كنيته أبو سلطان وذكر الربيعي أنه من شعراء عنيزة وأنه ينتسب إلى بني خالد. إلا أنني رأيت في مخطوطة حمد بن محمد بن لعبون التاريخية بخط الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن حمود التويجري أنه من ملهم وأنه من وائل مستدلا على ذلك بانتسابه إلى عبدالحميد بن مدرك الذي يرى بعض النسابين أنه من وائل. وقد اقتبس الشيخ التويجري كلام ابن لعبون وأورده في كتابه الإفادات (١٤١١: ٦٠-٦١). كما ينسبه الشيخ صالح بن عثمان القاضي أيضا إلى ملهم ويقول إنه توفي عام ١٠٧٩ (القاضي ١٤١٤، ج١: ٩٢)، وسيتبين لنا خطأ هذا التاريخ حينما نناقش قصيدة السمين في مدح الشريف بركات. وفي قصيدته التي يمدح فيها علي بن أجود ينتسب السمين إلى عبدالحميد ويزيد في النسب في قصيدته الذهبية التي مدح فيها بركات الشريف

حيث يقول: أنا من ذوي عبدالحميد بن مدرك. وقد وجدت أن الربيعي في إحدى مخطوطاته قد شطب «أنا من ذوي عبدالحميد بن مدرك» مصححا وكتب بدلا منها «أنا من حميد بن عقيل بن عامر»! وبينما يفسر ابن لعبون انتساب السمين إلى عبدالحميد بن مدرك بأنه من وائل، يذهب أحمد العريفي (١٤١٣: ٤١) إلى أن عبدالحميد بن مدرك الذي ينتسب إليه السمين هو المذكور في سلسلة نسب آل ضيغم. وكلا القولين صحيح وفق ما ورد في كتاب طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب الذي صنفه السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول. يقول ابن رسول عن نسب آل منيف:

> وهم آل ضيغم وآل راشد من جنب وهم المعروفون بالمعضَّد، وهو منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبدالرب بن ربيع بن سليمان بن عبدالرحمن بن رَوْح بن مدرك بن عبدالحميد بن مدرك، وقيل إنهم من نزار بن عنز بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان دخلوا في نسب جنب لأن أمهم عُبيدة بنت مهلهل بن ربيعة التغلبي من تغلب بن وائل أخي عنز بن وائل، تزوجها رَوْح بن مدرك من بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي. (ابن رسول ١٤١٢: ١٢٠-١٢١).

ومدح السمين علي بن أجود بقصيدة على بحر الهزج نشرها محمد الهطلاني في مجموعه الدرر الممتاز من الشعر النبطي والألغاز (١٤٠٧: ١١٧-١١٨). يبدأ السمين هذه القصيدة بالفخر بنفسه وبأجداده (ترى من يكونون هؤلاء الأجداد الذين يفخر بهم السمين كثيرا؟) ثم يتحدث عن عزيمته وقوة بأسه ويقول بأنه يشق الليل بالأسفار لا يخاف ولا يبالي. وينعت الإبل التي يجتاز بها البراري الموحشة ويتوقف ليصف الأطلال الخالية من أهلها. بعد ذلك يهجم على غرضه ويمدح علي بن أجود ناعتا إياه بأنه سلطان قيس. وترد في البيت الثاني كلمة «عاقه» ومعناها الشخص المتعوق أو المتأخر عن أقرانه ذهنيا وحركيا فلا يستفاد منه في مشورة أو في عمل. وبالعكس منه «السنافي» في البيت الخامس والثلاثين وهي كلمة عامية تعني الرجل الهمام الذي يعتمد عليه ومحل ثقة وصاحب نخوة ونجدة. ومن الكلمات الفصيحة التي اندثرت في لغة العامة «مُحال» في البيت الأول و«الأثافي» في البيت الواحد والعشرين و«قمّات» في البيت الواحد والثلاثين. وكلمة «عُجا» في البيت التاسع عشر فصيحة من عدة أوجه؛ فهي مفردة فصيحة تأتي بصيغة المثنى التي اختفت من العامية وبحذف عين الفعل الأجوف التي تحذف في الفصحى ولا تحذف في العامية.

٠١) مُحال انّي أصافي غير صافي أو اسمح بالوداد لغير وافي
٠٢) ولا أعطي زمام العقل عاقه ولا ألجي لجال رفاف جافي
٠٣) ولا اصافي عدوٍّ كد جفاني ولو صافيت ما قلبي بصافي
٠٤) ولا اصافي حذا قرمٍ صميدع كما درعٍ رصيفٍ من رصاف
٠٥) فمن لك قام بالحاجات حاذي فقم في حاجته حاذٍ وحافي
٠٦) ولا يطفي سراجٍ في ضميري حذا ضرب المعادي بالرهاف
٠٧) ولا يجلي صروف الدهر ما بي من الشيمات لو جانا مجافي
٠٨) أضعضعهم بشِدّات الليالي إلى ما انقاد غيري للعساف
٠٩) وكيف يُذلّ صرف البين باسي ويقواني وانا بالعزم شافي
١٠) وفي عبدالحميد عماد بيتي رفيع بناه عالي غير هافي
١١) على الهامات . . . غيري تركنا شرّها والحرب طافي
١٢) بصيرٍ بالمعاني غير واهي وبذلٍ في نواله غير هافي
١٣) على الله اعتمادي واتّكالي وهو عن كل ما أخشاه كافي
١٤) إذا سايلت عن حالي وطبعي وما فيه اكتلافي واحترافي
١٥) أماري بالمعالي في ركوبي على العيرات قِطّاع الفيافي
١٦) أفض الغيض عن بالي وقلبي لما يظهر جوابي بالقوافي
١٧) ألى ياصاحبي أهلا وسهلا خليلٍ لي على طبعي موافي
١٨) إلى حاولت في قلبي محاول أشِقّ الليل لو فيه التلاف
١٩) عُجا لي كنّسٍ مترحّلاتٍ عفايا عقب تكليف العساف
٢٠) كثيرات التغاري والتماري قليلات التتابع والمقافي
٢١) إلى دارٍ محى ما لاح منها سوى رسم المباني والأثافي
٢٢) هماليل السحايب والجواري وعجلات الذواري والسوافي
٢٣) وأصبح عقب زهو الحي فيها خلاف سرورها المعهود عافي
٢٤) وتلقى في مفاليها الجوازي رتوعٍ ما تِذِلّ ولا تخاف
٢٥) فلا بالبال غير اللي بقلبي وهو قصدي إلى حل اكتلافي
٢٦) لمن حكم المروه والمعاني ومبتدع المكارم والعوافي
٢٧) إلى هزّاع شامخةٍ عزومه ومن فيهم يخيف ولا يخاف

٢٨) أهـل وهـايـبْ جْـزال الـعـطـايـا إلـى جـذّت مـروّات الـقـصـاف
٢٩) هـو الـموت الـعـديـم لـمـن يـعـادي ومـفـتـاح الـغـنـاة لـمـن يـصـافـي
٣٠) عـلـي بـن اجـودٍ سـلـطـان قـيـس مـجـار الـجـود كـهـف لـلـضـعـاف
٣١) صـعـد لـصـعـود قـمّـات الـمـعـالـي وصـافـي لـلـكـرام وكـل وافـي
٣٢) ومـحـيـي لـلـهـواتـف نـار مـجـده لـوامـعـهـا عـلـى بـعـدٍ تـشـاف
٣٣) إلـى مـا جـارت احـداث الـلـيـالـي عـلَـيّ وضـمّ زنـدي لـلـكـتـاف
٣٤) نـجـعـت الـى خـشـيـت الـضـيـم مـنـهـا لـكـعـبـة جـودنـا حـسـن الـمـطـاف
٣٥) فـحـل قـيـاد عـسـري غـب يـسـري يـحـل كـتـاف عـسـري يـالـسـنـافـي
٣٦) وصـلـى الـلـه عـلـى سـيـدي مـحـمـد عـدد مـن حـج بـيـت الـلـه وطـاف
٣٧) يـعـم الآل والأصـحـاب جـمـلـه عـدد مـا درهـمـت زرق الـخـفـاف

ولعامر السمين قصيدة على بحر الرجز يمدح بها قطن بن سيف وهو ممن لم تذكرهم المصادر التاريخية. ونعرف أن أخا أجود وابنه كليهما اسمه سيف ولا ندري ابن أي السيفين يكون قطن هذا. والبيت الأول فيه تضمين، أي لا يتم معناه إلا بقراءة البيت الذي يليه. وفي البيت الحادي عشر تقابلنا الكلمة العامية «جفاسه» التي سبق أن صادفناها في شعر أبي حمزة. ومن المفردات العامية أيضا «يازي» في البيت الثالث بمعنى «يصبح، يصير» و«أثرك» الفجائية في البيت الثاني عشر بمعنى «وإذا بك» و«نافه» في البيت الثامن عشر بمعنى «في حل». وعبارة «حاش المعالـي» في البيت الثالث والعشرين مصطلح عامي مرادف لمصطلح «حاش المروه» والتي مرت بنا في أحد قصائد أبي حمزة، وتعني أن سلوك الممدوح وتصرفاته أوصلته إلى العلياء مذ كان صبيا لم يعتمر العمامة وبعد أن أصبح رجلا بالغا يتزيا بزي الرجال البالغين. أما مظاهر الفصاحة فيمكن أن نورد منها مثلا المصراع الأول من البيت الحادي عشر إضافة إلى بعض كلمات القافية مثل «فربما» و«اللما» و«أيما». ومصطلح «برق خلبي» في البيت الواحد والعشرين مصطلح فصيح لا تعرفه العامة.

٠١) قـم قام نـاعـي مـن يقـيـم عـلـى الـغـمـا واعـزم عـلـى صـعـب الأمـور فـربـمـا
٠٢) أمـرٍ تـخـاف لـقـاه تَـمّ خـلاف مـا تـعـزم عـلـيـه مـن الـمـصـاوب تـسـلـمـا
٠٣) واعـزم فـكـم عـزمٍ بـقـوّة هـاجـسٍ يـازي لـبـاب خـلاف مـلـكٍ سـلّـمـا
٠٤) كـم قد وقـى الـلـه الـحـتـوف مـجـازفٍ سـل الـحـراب، وعـطـب مـن لا يـزحـمـا
٠٥) حـمـلـت يـد الأقـدار رجـال ولو صـفـا وبـكـل مـا لا أنـت مـحـتـسـبٍ طـمـى

٠٦) يـاأيّـهـا الـمـخـتـول بـالـنـاس ان ذا احـذر يـغـرّك صـفـو بـرّاق الـحـمـى
٠٧) مـا تـعـتـبـر بـالـلال يـطـمـي طـايـش كـالـبـحـر حـيـن طـمـا وهـو عـيـن الـظـمـا
٠٨) يـاقـاطـعٍ مـد الـمـودّه بـالـجـفـا حـبـل الـوصـال ومـن قـسـى وعـسـى ومـا
٠٩) لـى طـو بـرّ الان تـيـقّـن انـهـا عـنـد عـزيـز غـالـي فـتـعـدمـا
١٠) مـا كـان ذا يـجـري بـحـبٍّ مـغـرم بـهـواك مـشـغـوف الـفـؤاد مـتـيّـمـا
١١) سـلـسـلـتـني بـهـواك ثـم سـلـيـتـني ومـن الـجـفـاسـه هـجـر مـن لا أجـرمـا
١٢) أثـرك تـذكّـر بـالـلـقـا مـا قـلـت لـي إن كـان قـد أنـكـرت فـالـلـه يـعـلـمـا
١٣) قـد قلـت إنك عـنـدي انفـق من مـشـى مـن فـوق وجـه الأرض أو تـحـت الـسـمـا
١٤) وسـمـحت لـي بـمـعـاجـبٍ وملاعـب وشـفـيـت غـلّ بـالـفـؤاد مـن الـلـمـا
١٥) وايـشٍ حـدا مـمـا بـدا وايـشٍ جـرى فـيـمـا مـضـى أنـظـر لـحـالـك أيـمـا
١٦) إن كـان ذا الإجـنـاف مـنـك تـغـلـي وتـقـول ذا يُـبـدي لـمـا عـنـي كـمـى
١٧) فـاعـلـم بـأنـك نـافـقٍ ويـردّني لـك ذكـر مـا يـوم الـوصـال تـقـدّمـا
١٨) وتـراك عـن بـاقـي وصـالـي نـافـه وتـرى هـواك عـلَـيّ عـاد مـحـرّمـا
١٩) فـإلـى بـكـنّ مـن الـفـراق نـواظـري جـزعٍ عـلـيـك فـعـام فـيـهـنّ الـعـمـا
٢٠) عـوّدت نـفـسـي كـربـهـا عن من قـسـا وصـدودهـا عـن مـن عـلَـيّ تـوحـمـا
٢١) يـانـاق لـي بـعـض الأخـلا مـا وفـا واخـتـال بـرقٍ خُـلّـبِـيٍّ صـرّمـا
٢٢) أقـصـد بـنـا قـطـن بـن سـيـفٍ نـاشـرٍ ثـوب الـمـديـح فـربـمـا انـك تـغـنـمـا
٢٣) ورث الـمـروّه مـن أبـوه وجـده حـاش الـمـعـالـي فـارعٍ ومـعـمّـمـا
٢٤) راعـى العـطـايـا المـغـنـيـات ومـن إلـى شـربـت شـبـا شـوك الـرمـاح من الـرمـا
٢٥) كـم مـن فـقـيـرٍ صـار بـاب غـنـاتـه وعـقـاب خـيـلٍ قـيـل مـن عـنـهـا حـمـى
٢٦) قـيـسـي خـيـار عـقـيـل جـمـلا كـلـهـم الـعـامـري مـن قـيـس أوفـى مـقـسـمـا
٢٧) وإلـى تـفـاخـرت الأصـول بـعـامـرٍ فـخـيـارهـا وأعـزّهـا الـمـتـقـدّمـا
٢٨) وإلـى الـمـقـدّم أصـلـهـم آل الـمـضـا وإلـى الـمـضـا مـن قـيـس أوفـى مـقـسـمـا
٢٩) وإلـيـك يـاقـطـن بـن سـيـف تـتـابـعـت أهـل الـمـكـارم أكـرمـاً مـن أكـرمـا
٣٠) مـا أرّثـوك الا فـعـلـت افـعـالـهـم بـجـزيـل مـدٍّ مـن عـطـاك فـأيـمـا
٣١) قـد قـيـل إنـك كـابـرٍ عـن كـابـر فـاسـعـد وحـش وابـجـح بـخـيـرٍ واسـلـمـا
٣٢) وخـيـار مـقـصـود الـحـديـث قـلـيـلـه وعـلـى الـنـبـي صـلـى الإلـه وسـلـمـا

ومدح عامر السمين قضيب بن زامل بقصيدة على بحر البسيط، نشرها عبد الله بن خالد الحاتم في الجزء الأول من مجموعه خيار ما يلتقط من الشعر النبط (١٩٥٢: ٦١-٦٣). ونظرا لأهمية القصيدة ولأن النص الذي نشره الحاتم مليء بالأغلاط نوردها هنا كاملة. وقد سبق أن أشرنا إلى اختلال الوزن في المصراع الثاني من البيت الأول. ويبدو أن السمين قال هذه القصيدة يعزي فيها قضيب في وفاة والده زامل ويهنئه على تولي الأمارة. ويتضح من بعض أبياتها أنه كانت له علاقة قوية بزامل والد قضيب، ومن المرجح أنه قال قصائد في مدحه. يستهل القصيدة بأبيات حماسية وفي البيت الحادي عشر وما بعده يتحدث عن ذات الحسن والتي يقصد بها الملك والإمارة. بعد ذلك يسهب في الحديث عن الصديق والصداقة وينصح بالابتعاد عن مصاحبة من لا يعتمد عليه من الرجال. وبعد الثناء على زامل وطلب الرحمة له يعرج على مدح قضيب ويعدد مناقبه. ويقارن قضيب بـ «خرش الاشبال» ويقصد بذلك الصقر لأنه يقول عنه إنه في «ماكر عالي». ويستطرد قليلا في رسم لوحة رائعة لهذا الصقر وما يعانيه من جوع وبرد وهلع، فهو يرقب الصبح ليبحث له عن فريسة. وما أن ينبلج نور الصباح حتى ينطلق كأنه «سهم رمي من كف نبال» من شدة الجوع الذي يستعر في أحشائه. وهذا الوصف يعيدنا إلى وصف ابن غنام لوثبة فهد الصيد وقوتها بالنشاب. وفي ختام القصيدة يدعو لقضيب بالعز والنصر والتوفيق والإقبال وعلى أعدائه بالذل والتعذيب والإذلال؛ وسوف نقابل هذا الأسلوب في الدعاء للمدوح لاحقا في لامية العليمي التي مدح بها قطن بن قطن.

٠١) أنا اتكالي على ذي القوة العالي ربي سنادي وعتقادي بآمالي
٠٢) مالي حجا أو رجا إلا برحمته وهو ملاذي على عسري وإقلالي
٠٣) أقول والقول مني يستدلّ بِهِ ياطالبا أن تنال المرتب العالي
٠٤) قم جاهد النفس عن إضعاف هاجسه واركن إلى قلت صر للقول فعّال
٠٥) ولا تطع من ضعيفاتٍ عزايمه فكل طبعٍ إلى راعيه ميّال
٠٦) فما يبلغ العليا سوى من يكون به حزمٍ وعزمٍ ويبذل غالي المال
٠٧) ولا تهب نيّةٍ صعبٍ مصادمها فالحمد والعز تحت ظْلال الآجال
٠٨) والذل والهون مقرونين في قرنٍ ما جاذي قط عن عزم المنى نال
٠٩) فالى تيقّنْت كاس الموت شاربه بالسيف أريح ولا تمريض الاعلال

١٠) فالموت بالسيف للعليا أحق به ... من يبذل الغال حصّل في رجا الغالي
١١) ياطالبا ذات حسنٍ ما لصورتها ... في ساير آفاق جل الأرض أمثال
١٢) محجوبةٍ في حجابٍ ليس ياصلها ... إلا شجاعٍ لما يهواه وصّال
١٣) فان حازها بالفعل بعلٍ وأدركها ... مالت عليه القلوب بْنيل الامال
١٤) وليس تنحاز عن بعلٍ تملّكها ... من بعد ما هو لعقد اوصالها نال
١٥) والى اجتهدت ولا حزتَ الأمور فلا ... تلوم نفسك إلى حالت بك احوال
١٦) والملك بالظلم ما تثبت دعائمه ... فكن قطوعٍ بأحيانٍ ووصَّال
١٧) ترى قريبك من قربت منافعه ... إليك عند افتراق وْجيه الانذال
١٨) ومن إلى جاك خطبٍ من حوادثها ... يحل منزل محلٍّ غير منحال
١٩) وملازمٍ لازمٍ من عن صليبته ... عالي المعالي وفارس غير محلال
٢٠) ومجرّبٍ في لظى الهيجا عوايده ... بالوجه يُلقى بيوم الروع حمّال
٢١) ومكابدٍ كايدٍ ثبتٍ أخي جلدٍ ... ما ينثني من مخافة كثر واقلال
٢٢) هذا الذي حق أن تنعم عليه بما ... تاجد من الخير يرخص عنده الغالي
٢٣) ترى صديقك من يرويك من عطش ... والخل خلّين ضحضاحٍ ومفضال
٢٤) يبدون لك زين آمالٍ والى انكشفت ... منك التجاريب عنهم ضد الاقوال
٢٥) جنّب حماهم وبالدنيا وحاجتها ... يكفي تصانيف قول القيل والقال
٢٦) والملك من تخضع الارقاب خايفة ... إلى حذر باس ورد فيه الاجال
٢٧) وخْلاف ذا قلت ياركب الفلاح دعوا ... قود المطايا هجاهيجٍ وزرفال
٢٨) عرفت الاطلال والعيرات زالفة ... ولا ثنوا روس الانضا باشهب اللال
٢٩) شافوني اندب ديارٍ ما تكلّمني ... فالكثر منهم على ما قلت عذال
٣٠) لمرافقتهم ألى ياحيف يشدهني ... ياعاذليني دعوا ما طاعكم بالي
٣١) ياركب هذي منازل زاملٍ درست ... قد أصبح الجو منها خاوي خالي
٣٢) دار الذي كان يقرّبني ويكرمني ... ويصطفيني وتصدق منه الاقوال
٣٣) دار الذي ساق لي خيلٍ مسوّمة ... وجنايب الجيش من جردٍ وصهّال
٣٤) دار الذي كان ركنٍ ليَ ألوذ به ... إلا وينحل حال الهم عن بالي
٣٥) تهلهلت رحمة الرحمن نازلة ... في كل يومٍ على هذيك الاطلال
٣٦) الحمد لله اذا مات الشهيد فلا ... يخلّف الليث إلا خِرْش الاشبال

٣٧) ما مات من خلّف الحيد الذي خضعت ... له رقاب الملا من عظم الافعال
٣٨) قضيب قوي الباس في حومة الوغى ... حاوي خصال الثنا والمرتب العالي
٣٩) الصادم الصارم البطل الشجاع ومن ... ياطا وحامي وطيس الحرب شعّال
٤٠) ليث الوغى حامي دِنّ العياد إلى ... من شدة الباس عِدْم الريق الابلال
٤١) صفوة عقيلٍ هو اسطاها وأفرسها ... وخْيارها همّةٍ في كسب الانفال
٤٢) وبالشدايد هو ازكاها وأكرمها ... بالنفس والأب والعمّان والخال
٤٣) هو خرش الاشبال يوم الحرب مشتعل ... في ناظره شَبّ مثل القدح بالحال
٤٤) امسى مجيعٍ ووجه الأفق منطمس ... مزنٍ من الغيث فيه الرعد زلزال
٤٥) وباللّيل كد بات فيه الطل يلفحه ... جنحٍ من الليل وهو بْماكرٍ عالي
٤٦) يفرّ شروى لديغ السم مرتعش ... يتنى سنا الصبح عنه الليل ينجال
٤٧) والى انقشع جمع جيش الليل منجرد ... واقْفت نجومه لصوب الغرب حوال
٤٨) والليل قفّى ونور الشمس شارقة ... من فوق الاطلال وافا في ربى عالي
٤٩) أبصر بروق بعضها يتّلي بعض ... كما ضيا البيض لمعه فيه الآجال
٥٠) فسار حتى اختفى عنهن ثم ثنى ... تقول سهمٍ رْمِي من كفّ نبّال
٥١) على دعاثيرها بالخد دارجة ... ودمّى المخالب ولا يبقى لها تالي
٥٢) هو مثل ابا الطيب حاظي كل هيزعة ... والخيل تلتمّ بالهيجا وتنجال
٥٣) زين الفعايل ومرجام الكفاح وهو ... للضيف ريفٍ إلى كان القرى غالي
٥٤) دامت تحاظيه طول العمر أربعة ... عزّ ونصرٍ وتوفيقٍ وإقبال
٥٥) ومحاظي كل من عاداه أربعة ... قلٍّ وذلٍّ وتعذيبٍ وإذلال
٥٦) وبعد هذا صلاة الله ما طلعت ... شمسٍ على المصطفى خير الورى الغالي
٥٧) واعداد ما قلت هذا القول مبتدي ... أنا اتكالي على ذو القوة الوالي

والصورة التي يرسمها السمين للصقر في الأبيات من ثلاث وأربعين إلى واحد وخمسين تشبه الصورة التي رسمها أبو نواس في قصيدته التي يمدح فيها الخصيب أمير مصر. يقول أبو نواس:

وإني لطرف العين بالعين زاجر ... فقد كنت لا يخفى علي ضمير
كما نظرت والريح ساكنة لها ... عقاب بأرساغ اليدين تدور
طوت ليلتين القوت عن ذي ضرورة ... أزيغب لم ينبت عليه شكير

فأوفت على علياء حين بدا لها من الشمس قرن والضريب يمور
تقلب طرفا في حجاجي مغارة من الرأس لم يدخل عليه ذرور

ولم يقتصر عامر السمين على مدح أمراء الدولة الجبرية حيث أن من أشهر قصائده قصيدته المسماة الذهبية التي قالها في مدح الشريف بركات؛ إضافة إلى قصيدته في مدح الشريف أحمد. وقد ذكر النساخ مثل الربيعي وابن يحيى ومن نقل عنهم أن ممدوح السمين هو الشاعر المشهور الشريف بركات بن مبارك بن مطلب المشعشعي، وهذا هو المتواتر بين رواة الشعر النبطي لدرجة أنهم يروون قصة أشبه بالأسطورة حول لقاء السمين مع الشريف بركات. مفاد القصة أن السمين كتب قصيدته المسماة الذهبية في مدح الشريف على لوح من الذهب إجلالا للمدوح وطمعا فيما عنده وأعطاها للحاجب ليسلمها للشريف. لكن الحاجب نسخ القصيدة على ورقة وسلمها للشريف وأبقى لوح الذهب لنفسه. ولما هم السمين بالانصراف من الحويزة واستلم مكافأته من الشريف وجدها مكافأة زهيدة لا تساوي لوح الذهب الذي كتب عليه قصيدته فبعث للشريف بهذين البيتين:

ياسيدي لا تؤاخذني بأفعالي قد ضاع مالي وخابت فيك آمالي
أمسٍ وانا ابغى الوفاده منك ياسِيْدي واليوم ياسيّدي عطني عوض مالي

وبهذه الطريقة علم الشريف حقيقة الأمر وكافأ السمين مكافأة لائقة. وواضح أن الرواة اخترعوا هذه القصة ليبرروا تسمية القصيدة بالذهبية. (الهطلاني ١٤١٥: ٤٢-٤٣).

وقد شكك الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل (١٤٠٢: ٦٦-٦٧) أن يكون الشريف الذي مدحه السمين هو بركات الشاعر. ويستبعد الأستاذ أحمد بن فهد العريفي في كتابه الشريف بركات أن السمين الذي مدح علي بن أجود الذي حكم سنة ٩٢٧هـ امتد به العمر ليدرك الشريف بركات بن مبارك بن مطلب الذي مات سنة ١٠٢٥هـ، ويرجح أن الممدوح شريف آخر ربما يكون من أشراف مكة وبالتحديد الشريف بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان الذي ولي إمارة مكة سنة ٩٠٣هـ واستمر فيها إلى أن توفي سنة ٩٣١هـ. ولا ننس أن هذا الشريف كان قد تزوج بنت أمير الجبريين محمد بن أجود واستعان به لمساعدته في القضاء على الفوضى في مملكته. (الجاسر ١٣٨٧: ٦٠١؛ الحميدان ١٩٨٠: ٧٨). ولا شك أن مثل هذه الصلات القوية بين شريف مكة وأمير الجبريين تسهل الطريق أمام الشعراء من كلا الطرفين للاتصال بالآخر ومدحه والرغبة في

عطائه. ومما يعزز هذا الرأي ما جاء في البيت الثامن والخمسين من نسبة الممدوح إلى بني حسن. ومعلوم أن أشراف مكة من بني حسن بينما ينتمي أشراف الدولة المشعشعية إلى بني الحسين. كما حاول العريفي أن يحدد هوية الشريف أحمد الذي مدحه السمين في قصيدة سنوردها بعد هذه القصيدة والذي يقول العريفي (١٤١٣: ٤٢-٤٥) أنه ربما يكون أحمد بن أبي نمي الذي أشركه معه أبوه في إدارة أمور مكة وأرسله إلى الروم سنة ٩٤٥هـ وتوفي سنة ٩٦١هـ. ومرة أخرى نجد السمين في البيت التاسع والثلاثين من القصيدة ينسب الشريف أحمد إلى بني الحسن، أشراف مكة. ولا صحة للتهميش الذي أورده المؤرخ عبدالله بن محمد آل بسام على أحداث سنة ١٠٩٥ في مخطوطته تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق حيث يقول إن القصيدة قيلت في مدح الشريف أحمد بن زيد بن محسن الذي تولى شرافة مكة في ذلك العام.

وتختلف رواية مخطوطة الذكير للذهبية عن رواية ابن يحيى ورواية الربيعي اللتين تكادان تتفقان. وقد جاء في مخطوطة الذكير بعض الزيادات التي ينسب فيها السمين ممدوحه إلى بني حسن، أشراف مكة. وبعد التوفيق بين الروايتين ها نحن نورد الذهبية كاملة أدناه. والقصيدة على بحر الطويل ويبدؤها بالبكاء على الأطلال ويخرج من ذلك إلى الفخر والاعتداد بحسبه ونسبه ويلتمس المعاذير لنفسه في إخفاقه وعجزه عن تحقيق طموحاته. وبعد ذلك يصف في البيتين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين الغيث الغزير وآثاره ويشبه السحب المحملة بالمطر بأذواد الإبل مما يذكرنا بقول عبيد بن الأبرص:

دان مُسِفٌّ فُويق الأرض هيدَبُه يكاد يدفعُه من قام بالراح
كأن فيه عِشارا جِلّةً شُرُفا شُعثا لهاميمَ قد همت بإرشاح
بُحّا حناجرُها هدلا مشافِرُها تُسيمُ أولادَها في قَرْقَرٍ ضاحي

ومصطلح «ميقات موسى» في البيت الثامن والثلاثين يعني أربعين يوما وهي مأخوذة من قوله تعالى في الآية ٥١ من سورة البقرة «وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة»، وهذا من الاصطلاحات التي ترد كثيرا في شعر الحقب المبكرة، وتشير إلى أن ربيع الصحراء ينمو ويزهر بعد أربعين يوما من سقوط المطر. ونستشف من تهجئة السمين لكلمة «وعد» في قوله «صدوق الواو والعين والدال» في البيت الثالث والأربعين أنه يعرف القراءة والكتابة. وتهجية الأسماء والكلمات أسلوب متبع عند شعراء النبط المتعلمين وسوف يمر بنا في البيت الثامن والستين من قصيدة العليمي النونية في مدح قطن بن قطن حينما يتهجى

كلمة «غش». ونجد هذا أيضا في الشعر الفصيح كما في قول المتنبي: تملك الحمد حتى ما لمفتخر// في الحمد حاء ولا ميم ولا دال.

وبأسلوب لبق يخلص الشاعر من وصف الغيث إلى مدح الشريف بركات، تماما كما يفعل الكثير من شعراء النبط القدامى مثل جعيثن اليزيدي في مدحه ابن درع والعليمي في مدحه قطن بن قطن والشعيبي في مدحه الشريف بركات، كما سيمر بنا. وحسن التخلص هم شعري يشترك فيه شعراء النبط والفصيح. ومن أروع الأمثلة على حسن التخلص في الشعر الفصيح قول المتنبي يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي:

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتا من القلب لم تمدد له طنبا
بيضاء تطمع فيما تحت حلتها وعز ذلك مطلوبا إذا طلبا
كأنها الشمس يعيي كف قابضها شعاعها ويراه الطرف مقتربا
مرت بنا بين تربيها فقلت لها من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا
جاءت بأشجع من يسمى وأسمح من أعطى وأبلغ من أملى ومن كتبا
لو حل خاطره في مقعد لمشى أو جاهل لصحى أو أخرس خطبا

ومن الأمثلة الجيدة في حسن التخلص قول أبي تمام:

يقول في قومسٍ صحبي وقد أخذت منا السرى وخطى المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وقول ذي الرمة:

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وبعد أن يمدح الشريف بأبيات جزلة ينتقل السمين إلى وصف الأهوال التي صادمها والمتاعب التي واجهها في سبيل الوصول إلى ممدوحه. وهذا يعني شيئين؛ أحدهما شجاعة الشاعر وقوة عزيمته وجلده والآخر أن الجزاء على قدر المشقة. ويضيف أنه كان يعلل أصحابه في السفر بإنشادهم قصيدته في مدح الشريف ورواية ما يقال عن الشريف من قصص المروءة والشهامة والكرم. وهذا أيضا من المواضيع الشعرية التي تصادفنا كثيرا في شعر الحقب المبكرة مثل قصيدة العليمي في مدح قطن بن قطن وقصيدة الشعيبي في مدح الشريف بركات بن مبارك بن مطلب المشعشعي. يقول السمين:

٠١) لمن طللٌ بين الخمائل والخالي خلا واختفى عن منزله بالخلا الخالي
٠٢) دوارس خليٍّ لا أنيس بربعها سوى البوم والسرحان والريم والرال
٠٣) تنكّر عن العهد الذي كنت خابر وغيّر صْروف البين من حالها حالي
٠٤) عفت من كثر ودق المراهيش والسفا وهبايب الريح فيها غرب وشمال
٠٥) خليلَيّ من عليا عقيل بن عامرٍ أرى بكم الانضا من على الدار رحّال
٠٦) فليس بكم ما بي من الهم والأسى على ساكن الأطلال أضحى وهو خالي
٠٧) وحفظي عهودي والمروّات بيننا بأرسان روس الهجن بالدار عوجا لي
٠٨) ولا تعذلوني عن وقوفي بربعها فمن أجلها ما اطيع يالربع عذّالي
٠٩) خلا الربع عقب الخيم والخيل والقنا ومسامر البيض فيها دعج الاغزال
١٠) دارٍ خلت من حسن هندٍ وزينب بهن سيف حسنٍ للمحبين قتال
١١) ربايب لي تمادن عن وانتحن رَحَلْنَ وخَلّفْنَ الهمًموم على بالي
١٢) فيالك ذيك البيض والخرّد الذي عِدْم البصر في هواهن وانتحل حالي
١٣) جزى الله حسّادي بخيرٍ كما انهم لمدحي على غير المودة قوّال
١٤) يدعونني حسن الرضى بوهيبه وحظي وأفضالي وقدري وإجلالي
١٥) اقوالهم جنةٍ وِقْلوبهم لظى نارٍ سعر حرّها في كل اوصالي
١٦) وليس بهم جهلٍ ولكن تجاهلوا كما أنهم يدرون عن ماضي افعالي
١٧) أنا من ذوي عبد الحميد بن مدرك هل الضرب بالهامات والمنسب العالي
١٨) تخيّر جدي خال ابي فتسلسلوا من الذروة العليا تخيّر أبي خالي
١٩) ولم أجذ عن أفعالهم غير أنني دواهي صروف الدهر قد شَدهت بالي
٢٠) إلى قلت هذا آخرٍ منه زادني همومٍ فيازى الأول اشوى من التالي
٢١) معاني على كل المعاني مْعاند وقد أرّثن بالقلب ولبٍ وولوال
٢٢) أروم الأمور العاليات بهمّتي فيمنعني خذلان قومي وإقلالي
٢٣) لعمري لقد أجهدت في مطلب العلا أمور جذت عنهن همّات أمثالي
٢٤) وجزت فجاج الأرض شرقا ومغربا على كل عوصا تقطع البيد مرمال
٢٥) وأبعدت عن داري وجاري وعزوتي وفارقت أخياري وجافيت جهّالي
٢٦) وخضت عباب الجمّ في كل ساجة إلى قيل وارى شرّف الموج من عالي
٢٧) وصادمت صرف الحادثات وأتلفت يميني على مطلوب نيل الثنا مالي

٢٨) وليس يلام المرء بعد اجتهاده ولا يدفع الماذون حيلات محتال
٢٩) وما بالمواخير صرف البين ينتظر بلوغي مرادي في ربى ربوة الخالي
٣٠) سقى رسم ربع الدار بالدلو مرزم من الغيث سكّابٍ على الربع هطّال
٣١) محنٍّ مرنٍّ مرجحنٍّ إلى اعتلى زها النبت في خدّه وهو قبل ذا خالي
٣٢) محِثٍّ ملثٍّ مستقيمٍ تتابع سريع مقاديم الطها واني التالي
٣٣) دفوق عزاليّ السحاب كأنما بعيازها ما بين رجسٍ وإشعال
٣٤) مع ذارفٍ لجبٍ لكن ربابه كما ذود مغتر رفّعت شهب الاذيال
٣٥) نقانيق سكٍّ هاباتٍ نوافر حداهن مناعيرٍ على كل مشوال
٣٦) من الغيث مرتكم الغمام الذي رمى من غب ضرب الودق للأرض جلجال
٣٧) منه السما كالأرض والأرض كالسما لكل الملازم والمغاني لها مالي
٣٨) دمّار عمّار المغاني بها كما ميقات موسى للولي جل من قال
٣٩) عنت له هجاف الممحلين كما عنى إلى بركات المدح والجود بالمال
٤٠) شريفٍ منيفٍ فاطميٍّ مكرّم لما قال من قولٍ فهو له فعّال
٤١) اجلّ بنو الدنيا محلٍّ ومنسبٍ وأكرمها بالجد والعم والخال
٤٢) جزيل العطا أزكى قريشٍ مناسب وأورثهم للرسل والصحب والآل
٤٣) عزيز الحجا بدر الدجى زبن من لجا إليه صدوق الواو والعين والدال
٤٤) فتىً لا يرى الأموال إلا ودايع إليه سوى رمحٍ وسيف ابيضٍ جالي
٤٥) وعدّة بولادٍ ولدنٍ من القنا وخضرا علنداتٍ من الخيل صهال
٤٦) رفيع محل النفس لا ذو سفاهة يعيي دواها طايش العقل جهال
٤٧) هو انقى الملا اللي قد فنوا والذي بقوا وأمضى بنو الهيجا على الخيل حمّال
٤٨) فما الجود إلا دوحةٍ وانت فرعها ولا حسبٍ إلا وأنت له والي
٤٩) سنام الذي فيهم ثنا الحمد متضح من السادة اللي فيهم المدح ينقال
٥٠) وأنت من القوم الذين ان سطوا وطوا وغطّوا الوطا بالدم علٍّ وإنهال
٥١) وإن وهبوا أغنوا وإن قدروا عفوا وإن حكموا صاروا إلى الحق عدال
٥٢) يروّون أطراف البلنزا من العدا على كل صهالٍ من الخيل جوّال
٥٣) وبيض السيوف بْروس الاضداد غاري وأموالهم للجار والضيف والجالي
٥٤) إذا الغيث طب ارضٍ جديبه لقيتهم على الرغم في خدٍّ زها النبت نزال

٥٥) بظعنٍ ثقيل المد وبالشد ريّض يذير العدا في حندس الليل واللال
٥٦) موازره اقبال المذاكي حدودها بأرباب حمد في ذرى كل عسّال
٥٧) ترى خيلهم عند البيوت صوافن لهن بالعدا وقعٍ ورجفٍ وزلزال
٥٨) بنو حسنٍ مثل الكواكب إن بدت لهم في ذرى العلياً شعاعٍ وإشعال
٥٩) وأنت كبدرٍ في سما الأفق طالع يجلي دجا الديجور في غرّته جالي
٦٠) أجارك رب العالمين عن الردى وادامك في عزّ على مرتب عالي
٦١) فلولاك ما جزنا بالاقطار فدفد خلا ربعها غيرٍ الوحش فيه تجتال
٦٢) سمردحةٍ قفرٍ فجوجٍ مخيفه بها القلب من كثر الهوالات جوّال
٦٣) بيومٍ من الشعرا تزايد حرورها وحمي نقا المرماض واتّقد اللال
٦٤) مددت رجا صحبي بمدحك وانتهت بنا قود الانضا بين هذبٍ وإهذال
٦٥) وأبديت لاصحابي قريض الحكا طرب وقطعنا مهام البعد في رد الامثال
٦٦) وإن جا بمدح الخيرين لنا رجا فمدحك ياتاج اشرف الناس أرجا لي
٦٧) وضربي إليك العيس أقوى لهمتي إذا اهديت غال القيل في مدحي الغالي
٦٨) وصلى إله العرش ما وطئ الحصا على أحمدٍ والآل والصحب إجمال
٦٩) كما قلت في مبدا جوابي ختمتها لمن طللٍ بين الخمائل والخالي

وشعر السمين شعر مجلجل يطفح بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بالذات مما يذكرنا بشخصية الشاعر علي ابن المقرب العيوني. وربما اعتبر السمين نفسه شاعر الدولة الجبرية مثلما كان ابن المقرب شاعر الدولة العيونية، وابن زيد شاعر أجود، أو مثلما كان الخلاوي فيما بعد شاعر منيع بن سالم. ويبدو أن عامر السمين قد كرس مدائحه في الشطر الأول من حياته لأمراء الدولة الجبرية وانقطع لهم ولم يقصد غيرهم بحكم ما بين بني خالد، قبيلة الشاعر (حسب رأي الربيعي)، وبني عقيل، قبيلة الجبريين، من أواصر الروابط القبلية. ومن المحتمل أنه بعدما ضعف الجبريون وتضعضعت قوتهم اتجه السمين في آخر حياته مضطرا، بعدما يئس من الجبريين، لمدح أمراء آخرين. ومما يسند هذا الاحتمال أن المتمعن في قصيدتيه اللتين يمدح فيهما الشريف أحمد والشريف بركات يحس بنبرة الأسى المتمثلة في البكاء على الأطلال الدارسة وندب الحظ العاثر والتحسر على ما فات، مما يوحي بأنه كان يرى أن مصيره كان مرتبطا بمصير الدولة الجبرية وأن زوالها كان يعني بالنسبة له زوال ما كان ينعم به عند أمرائها من إعزاز

وتكريم. وليس من المستبعد أن المقصود بإشاراته المتكررة إلى خلافه مع قومه وتشتت رأيهم وتفرق كلمتهم هو ما حدث بين أمراء الجبريين من الشقاق وما آل إليه أمرهم من وهن وضعف.

وقصيدة السمين في مدح الشريف أحمد لا تخلو من نبرة الأسى التي نتبينها في بعض أبيات القصيدة السابقة. ولم يسبق نشر هذه القصيدة إلا عند محمد الهطلاني في الدرر الممتاز من الشعر النبطي والألغاز وها نحن نوردها كاملة. ويلقب السمين ممدوحه أبا دريد في قوله: فإذا لفيت ابا دريد سالم. وكلمة «سالم» لا تعني أن أبا دريد اسمه سالم لكنها دعاء للمرسول أن يصل أبا دريد سالما. والقصيدة على بحر الرجز واستهلالها فصيح. يبدأ القصيدة بداية حماسية يضمنها بعض الأبيات التي يتذمر فيها من قومه وخمولهم وتقاعسهم عن طلب العلا. ثم يعرج على مدح الشريف بأبيات مؤثرة ويسترسل في الحديث عن شجاعة الشريف وعدة حربه وطريقته في خوض المعارك. ويختم القصيدة بالحديث عن كرم الشريف وجوده. ولو تمعنا في القصيدة لوجدناها قصيدة فصيحة بنسبة لا تقل عن ٧٥٪. لكن ما مصدر هذا الخلط بين الفصحى والعامية؟ هل مرد الفصاحة أننا لا زلنا نعيش العصر الكلاسيكي بلغته الفصيحة وما يشوب القصيدة من تراكيب ومفردات عامية مردها في جزء منها إلى عبث النساخ والرواة والجزء الباقي يمثل بدايات زحف العامية على الفصحى في لغة أهل نجد ومناطق الجزيرة الأخرى؟ أم أن الشاعر يحاول أن ينظم قصيدة فصيحة لكنه بحكم عدم تمكنه من قواعد اللغة الفصيحة ينزلق أحيانا دون أن يشعر في العامية التي أصبحت آنذاك هي اللغة الأم؟ الاحتمال الثاني هو الأرجح لأننا نجد قصائد للسمين نفسه ولشعراء جاءوا قبله عاميتها واضحة، مما يعني أن العامية كانت قد طغت آنذاك ولم يعد يستطع النظم بالفصحى إلا من نال قسطا وافرا من التعليم. ولو نظرنا إلى القصيدة التالية فإننا نستطيع قراءتها بالنطق الفصيح عدا بعض المواقع التي يضطرنا فيها الوزن إلى تخفيف الهمزة وإلى التسكين حسب النطق العامي بدل التحريك الذي يقتضيه النطق الفصيح؛ هذا عدا بعض الصيغ والتراكيب العامية، مثل «اللي» في البيت الثاني عشر بدلا من «الذي» و«ماني» في البيت الثامن عشر بدلا من «ما أنا» و«مِقادَه» في البيت التاسع والثلاثين بدلا من «مقادها» للجمع غير العاقل. ومن الكلمات العامية «البزّون» في البيت الثامن وهو القط و«الرفاقة» في البيت الواحد والعشرين وهم الجماعة الأدنون و«المحتمِ» في البيت

الثاني والعشرين أي الحامي و«ايتفا» في البيت الرابع والعشرين بمعنى «اتفق» و«تراني» في البيت الثامن والعشرين بمعنى «إنني» و«طَلّن» في البيت الخامس والأربعين بمعنى «نظرن» و«لوفاتها» في البيت السادس والأربعين إشارة إلى قحط السنين. ومن باب محاولة الابتعاد عن أساليب العامة في نطقهم والتفاصح الذي ينم عن عدم معرفة بحقيقة قواعد الفصحى استبدال الألف المقصورة بألف ممدوة تنتهي بهمزة حتى في الحالات التي لا يجوز فيها ذلك، كأن يحول الشاعر «الدجى» إلى «الدجاء» في البيت الثالث و«الفتى» إلى «الفتاء» في البيت الثاني والعشرين و«الظما» إلى «الظماء» في البيت الثاني والأربعين، وإن لم ننطق الكلمات هذا النطق الخاطئ ما استقام الوزن.

٠١) قم أيها الرجل المقل المعدَمِ فالعجز باب مذلة لوتعلمِ
٠٢) قم قام ناعيك ان أقمت بمنزلٍ تخشى به انك تستهان وتهضم
٠٣) جرّد صفاح سيوف عزمك وادّرع سربال ديجور الدجاء المظلم
٠٤) واجهد وجدّ وجذّ حبل قرابةٍ ما ينفعون إذا الحزام استحكم
٠٥) واصرم حبال وصال خلان الرخا لم يرض يلدغ مرتين المسلم
٠٦) واترك لعل وهل وليت وربما وعسى وسوف فما بهن تنعّم
٠٧) ياناصحي خل الملام فإنني خالفت من قبلك نصايح لوّمي
٠٨) فاللوم غاشي من يقيم بديرةٍ يخشى من البزّون فيها الضيغم
٠٩) للعمر حدٍّ لا يزال حسابه فإلى انقضى فاخش العقوبة واعلم
١٠) فالله لا يرعى ولا يرضى على من عاش في ذلٍّ ويلقى منجم
١١) للظيم عندي في الجنان مرارة والعز حلوٌ في سعير جهنم
١٢) ومكابدي لج البحور إلى طمت بامواجه اللي كالجبال وأعظم
١٣) وتحمّلي في كل هول تنوفةٍ ما للرجال على لقاها سلّم
١٤) عندي ألذّ من المقام ولو صفا لي مشربٌ وحلوٍ مذاقة مطعمي
١٥) من بين قومٍ ما الذميم بصاقطٍ عنهم ولا الحر الكريم يكرّم
١٦) ما لي عليهم ناصرٌ إلا يدي ومثقّفٌ ومهنّدٌ ومعلّم
١٧) ما تطمئن إلى المليح قلوبهم يومٌ وليس من القبيح تألّم
١٨) ما ني وحالي والزمان وهمتي وقبيلتي إلا بأمرٍ معظم
١٩) وتقول همّاتي تعَدّ إلى العلا لا تركنَنّ فتستهان وتظلم

٢٠) فإلى نظرت لمن يشير لهمّتي خذلان قومٍ يجهلون وأحلم
٢١) والحلم في بعض الامور مذلّةٌ والصبر عن ضيم الرفاقه يذمم
٢٢) صبر الفتاء على القريب أشد من صطوات مسنون الحديد المحتمي
٢٣) والعز قد ضمنته اطراف القنا ومن عدم عز الله فليس بمنجم
٢٤) أبني وأنتم تهدمون ولا ايتفا باني وخلف بنائه من يهدم
٢٥) وما الزمان إلا تبيع ما مضى ما للفتى عن ضيمهن من مهزم
٢٦) جر يازمان بما تشا لي ما تشا ما شئت فاحكم في زمانك واظلم
٢٧) فإلى لفيت ابو دريدٍ سالم سول المنى وحجا المخيف المجرم
٢٨) قل له تراني عن تصاريف النيا باللله ثم به ألوذ وأحتمي
٢٩) السيد السند المسمى أحمد وافي ذرى العليا الأجلّ الأكرم
٣٠) المرتقي درج المكارم والعلى باني خراب المجد وافي المقدم
٣١) لم تخل أرضٌ من سحاب نواله اما بجودٍ مستهلٍّ أو دم
٣٢) يرد الوطيس على صهات مقلّص ضخم الدسيع كبيرها والمقدم
٣٣) سبّاحُ سيّاحٌ غليض حوامل عبل الشوا نهد المراكل شيظم
٣٤) متباعدٍ متقاربٍ متقاصر متطاولٍ متأخرٍ متقدم
٣٥) عبثٍ ومن حسن السياسه طايع لو تركبه عاري ولو لم يلجم
٣٦) سامي النواظر والسوامع للسما يوهمن به يوم الطراد ويقدم
٣٧) روّاغ كالخاطوف عالي فوقه سرجٍ وفوق السرج ليثٍ ضيغم
٣٨) ومضوفرٍ زغفٍ وأبيض صارم ومثقّفٍ عدل الكعوب مقوّم
٣٩) عَزَميّةٍ علويّةٍ نَبَويّة حَسَنيّةٍ ما من مقاده منجم
٤٠) يومٌ ينال به الشجاع مرامه والیوم الاخر بالحديد ململم
٤١) والخيل تسبح بالنقيع ولم تُرى قبوة حوافرهن من نقع الدم
٤٢) فيه الشفايا بالظماء لواغب والموت داني والرماح تحطّم
٤٣) والباترات هواتفٌ وشبا القنا حاكى الوشيع وهن مثل الأنجم
٤٤) ومن الجياد صرايعٍ وقلايع ومن الكماة مجندلٍ ومكلّم
٤٥) والبيض طلّن والجيوب حواسر ذَهَلَنّ ذاك اليوم لوث الملثم
٤٦) والى السنين تتابعت لوْفاتها وكشّرْن عن ناب الزمان المحطم

٤٧) واغبَرّ وجه الأرض واستعر الفلا وأبت عن الجود النفوس البُحّم
٤٨) فله الصمات الثابت البحر الذي ما عنه من خاف المجاعه يلزم
٤٩) وهو الذي لولاه لم يكن الندى يذكر ولا له نوض برقٍ يُعْلَم
٥٠) ثم الصلاة على النبي محمد ما ناض برقٌ في سحابٍ مظلم

ويورد الدخيل للسمين ثلاث قصائد فصيحة كلها على بحر البسيط لم أجدها عند غيره. وأكاد أجزم أن السمين قال هذه القصائد وفي ظنه أنه ينظم شعرا فصيحا لا نبطيا. أي لو أن السمين نفسه روى لنا هذه القصائد وألقاها علينا لألقاها على أساس أنه يلقي شعرا فصيحا. لكنني أشك أنه وصل إلى مستوى من التعليم يؤهله لنظم قصائد عربية فصيحة متقنة وخالية تماما من الركاكة وشوائب العامية. أولى هذه القصائد تبلغ أبياتها إثنين وثلاثين بيتا يمدح بها شخصا لم يصرح باسمه لكن يبدو من القصيدة أنه شخص ذو شأن ويحتمل أنه من أمراء الجبريين لأنه يلقبه في البيت العشرين «تاج الملوك وإبن السادة النجبا» ويقول عنه في البيت الثاني والعشرين إنه «موضي سنا عامر». ويبدأ القصيدة على نمط يذكرنا بالمتنبي وحماسياته. وربما نستشف تأثره بالمتنبي من البيت الثاني عشر الذي تتتابع فيه أفعال الأمر كما في قول المتنبي: أقل، أنل، أقطع، احمل، عل، سل، أعد// زد، هش، بش، تفضل، أدن، سر، صل. وهذه القصيدة كسابقتها في الفصاحة المتشربة بالعامية. ومن الأمثلة على تسهيل الهمزة وعدم تحقيقها كلمة «نبا» في البيت الثامن وكلمة «سبا» في البيت التاسع عشر. وتفرض علينا استقامة الوزن أن نحذف الهمزة من «جاءه» وننطقها «جاه» في البيت التاسع عشر ونحذف همزة «جاءك» في البيت الواحد والثلاثين وننطقها «جاك» وتخفف همزة «وأسياف» في البيت الثلاثين. كما تفرض علينا استقامة الوزن أن ننطق ضمير الغائب في بداية البيت الخامس عشر نطقا عاميا. ومن الكلمات العامية «النوخذا» في البيت الثامن عشر وهو ربان السفينة و«تغدي» في البيت الثالث والعشرين و«غدى» في البيت الثامن والعشرين بمعنى «صار، أصبح». واستخدام كلمة «عرب» كما يستعملها الشاعر في البيت الرابع عشر بمعنى جماعة من الناس استخدام عامي غير معروف في الفصحى. ونلاحظ في البيت الخامس والعشرين أن حرف الجر لا يؤثر في أحد الأسماء الخمسة الذي وجدناه مكتوبا في المخطوطة «ذو» بدلا من «ذي»، ويستبعد أن مصدر هذا الخطأ إهمال النساخ؛ الاحتمال الأرجح عدم تمكن الشاعر من قواعد الفصحى وتسلط العامية على لسانه.

٠١) نيل العلا بالتقاك الهول والنصبا وعن مصاحبة العزم الحشوم أبا
٠٢) العز ياسائلي عن أصل منتجا بين السيوف وأطراف الرماح ربا
٠٣) فمن أراد ارتقا العليا ولى تعب فليمتطي كل أمرٍ هايل نصبا
٠٤) من دوس ملحمةٍ أو بذل مكرمةٍ أو ضرب ذو شطبٍ من روس ذو طنبا
٠٥) فاعزم على طلب العلياء مجتهد فلا يلام الفتى إن فاته الطلبا
٠٦) إن نال طالبها غالي مطالبها والا فهو بالمعالي غلب أو غلبا
٠٧) واصدم صعاب صروف الدهر معتزم وابذل بها عضبا تبدي لك العجبا
٠٨) وابعث من الحلم رأي العزم مفتكر يعطيك قبل حلول الحادثات نبا
٠٩) فان الذي ما يدير الحلم في سعد من قبل ورده مضايق طارد النوبا
١٠) توريه الايام ما لا كان مُحْتَسِبا وأصعب الأمر ما لو كان مُحْتَسَبا
١١) نجّم فكم عزم رايٍ فَكّ معضلة وصار منه لنيل معزّةٍ سببا
١٢) وإرض واغضب في كل الأمور ورف بالملك واقطع وصل وارفع وضع رتبا
١٣) كن واعيا ما مضى لفظ المقال به من در بحرٍ غزيرٍ صافي الغببا
١٤) ومع أخا ثقةٍ بالحلم معترف كم قد أتى عرباً بالعلم من عربا
١٥) وهو على من بنات اليم ساجية سيارةٍ ما بها خدوٍ ولا خببا
١٦) ما بين عرشتها العليا وفرشتها معالجٌ من بطون المنشآت ربا
١٧) ولو رمى قدمها بالبلد ما التفتت أعيان راعيه إلا قد لها عقبا
١٨) يحدا بها طاعة اليمنى وميسرة إلى نوى النوخذا مصراعها جذبا
١٩) كعرش بلقيس لما جاه مختطف إلى سليمان ساعٍ من رسوم سبا
٢٠) إلى الملاذ عن احداث الزمان إلى تاج الملوك وإبن السادة النجبا
٢١) إلى الذي لم تكن تحصى فضائله ولم يكدّر بمن الجود ما وهبا
٢٢) موضي سنا عامرٍ قيدوم محفلها ومْقيت معسرها إن وقتها كهبا
٢٣) يوميه يوم صخاً أو يوم هيزعة تغدي عصا لام من يلقى لها شعبا
٢٤) سفكت بين سحاب الدم فانسكبت لاطلال نبت غيث زهره الذهبا
٢٥) بكل مرجفةٍ دهيا مزلزلة تجري بذو حسب من روس ذو عربا
٢٦) توضي بوارقها ورواق طارقها ومظلمٌ من دياجي غبوها كهبا
٢٧) كصيّبٍ من غمام السحب مرتكب يفيض منه إلى بلغ السما لهبا

٢٨) غدت بهم كنجوم الخسف هاوية غدى شلايا شغايا شملهم شعبا
٢٩) ظنّوا بأن قلاع الصخر تمنعهم هيهات هل شملهم ينجي لهم هربا
٣٠) أودعت هاماتهم شروى منابرهم واسياف عزّك في أوداجهم خطبا
٣١) وبعد ما جاك نصر الله مفتتح ضحك الزمان بثغر العز واعتجبا
٣٢) ثم الصلاة على المختار سيدنا عْداد ما بان قرن الشمس أو غربا

والقصيدة الثانية تبلغ أبياتها ثمانية وعشرين بيتا قالها في مدح شخص يدعى محمد ابن ماجد الذي يضفي عليه في البيت السادس والعشرين لقب «ملك». ويبدو لي من كثرة استخدام هذا اللقب في أشعار تلك الحقبة أنه لم يكن له آنذاك نفس المدلول الذي نعرفه الآن وإنما كان مرادفا لقولنا «شيخ» أو «أمير» في وقتنا الحاضر. يبدأ القصيدة بالغزل ثم يطلب السقيا لدار محبوبته ليخلص من ذلك إلى المدح على الطريقة المعتادة. وفي صدر البيت السادس عشر يصادفنا مرة أخرى مصطلح «ميقات موسى». ومن الكلمات العامية «بِدّه» في البيت الثاني و«سوّاه» أي «عمله» و«فقسا» أي «فقأ» في البيت التاسع و«احتوسا» في البيت التاسع عشر و«هايبة» أي خائفة و«حَيْلِه» بمعنى «جهده وقوته» في البيت الرابع والعشرين. ومن التراكيب العامية «ياصل» بدلا من «يصل» في البيت الرابع عشر. ومن أمثلة تخفيف الهمزة «الارداف» في البيت الثامن بدلا من «الأرداف» (بالهمزة) و«وانا» في البيت التاسع بدلا من «وأنا» و«واخلت» في البيت السابع عشر بدلا من «وأخلت» و«خضرا» في البيت الثامن عشر بدلا من «خضراء». والتكلف البديعي واضح في البيت الثامن. والحركة التي تسبق الروي هي الفتحة ما عدا في البيت الرابع فهي سكون.

٠١) عسى تجود الليالي بالمنى وعسى نحضى بقرب تداني ظبية الوعسا
٠٢) ما زال غصن الصبا مني يلين فلا بدّه إلى ما تعلاه المشيب قسا
٠٣) شخصٌ يشوق الأمارا حسن قامته لنواعم الحب في لاج الحشا غرسا
٠٤) مجمول معزول ما تحت الثياب نشا بربيب طيبٍ غريب الحسن والجنسا
٠٥) وضّاح لمّاح كالمصباح غرّته يسوم سن قليل الغيض والحمسا
٠٦) في مشيها رجزٌ في لحظها حور في ثغرها درٌ في خدها لعسا
٠٧) داجي سواد الليالي من ذوائبه كما من انوارها نور الدجى قُبِسا
٠٨) ثوى فؤادي بحمل الحب منه كما تثويه الارداف عند قيامه ان جلسا

٠٩) يتيه وانا لما سوّاه من عمل راضيه لو هو لموضي ناظري فقسا
١٠) سقى ربى دارها من كل ناشية ربابها لمراديف السحاب كسا
١١) عنه الطيور هوارب لاوكارها والوحش في غامض الأكناس قد كنسا
١٢) أنوار بارقها كالشمس شارقها ولصوت صاعقها في مزنها رجسا
١٣) لكن طيّار طفّاح الرباب بها نقانقٌ نافرٌ من حس أو ونسا
١٤) ما ياصل الأرض هامي وبل ماطرها إلا وبالسيل روس الدوم قد طمسا
١٥) سبتين هاميةً بالودق حامية القاع من جود ماها والسماء وسا
١٦) وتم ميقات موسى الأربعين وفا يحظى قضاها واللي فوقها حبسا
١٧) ثم انجلى غيمها واخلت مخايلها من بعد ما فوق ربع ديارها حرسا
١٨) حتى بقت من جنان الخلد ناعمة خضرا يعطّ نداها بكرةً ومسا
١٩) من نور غيّاف زاهي نبتها وبها معروف نبتٍ ومجهول قد احتوسا
٢٠) لكن فيها رنين الطير من طرب في روس غيّاف زاهي نبتها جرسا
٢١) لكن بهجتها للملتجين بها بعد الخلا باختلاف الجدب واليبسا
٢٢) جود ابن ماجد النخي إلى في شدة الوقت كالوب الزمان قسا
٢٣) محمد زبن وندات العياد إلى نقع السبايا على وجه المهاة كسا
٢٤) يثني على الخيل والفرسان هايبة وسور من جاذي حيله وقد خنسا
٢٥) وحجاب عنها وهي صلجٍ مسامعها وقبل ذا لا بها صلجٌ ولا خرسا
٢٦) مَلْكٌ فرايسه ارباب التخوت وفي كلتا بنانيه أنف الجود قد عطسا
٢٧) وجسام جل العطايا من وهايبه الهجن والخيل والعطعاط والفرسا
٢٨) ثم الصلاة على المختار سيدنا ما قام من قايمٍ أو جالس جلسا

والقصيدة الثالثة غزلية تبلغ أبياتها ثلاثة وعشرين بيتا. ويصدق على هذه القصيدة ما قلناه عن سابقاتها بالنسبة للفصحى والعامية. و«كاظمة» في البيت الثاني عشر يقصد بها الثعبان السام كما يوضح ذلك البيتان الثالث عشر والرابع عشر من قصيدة سنوردها لرميزان يرثي بها أخاه محمد. والأماكن التي يذكرها في البيت الثامن عشر مثل الوصيل وبنبان والحجر والسلي قد تدل على أن عامر السمين من أهل العارض وتسند القول بأنه من ملهم حسب بعض الروايات.

٠١) يامرحبا بالذي قد زارني وهن والليل ثوبه فوق الأرض قد طاحِ
٠٢) والناس في طيب حلو النوم هاجعة وعن عيوني لذيذ النوم منزاحِ

٠٣) أهلا بمن لا أطيع العاذلين به ولا به اسمع من العذال نصّاحي
٠٤) أهلا بمن سقم حالي من مفارقه ومن عليه كنين الصبر قد باح
٠٥) ياعذب الانياب ياترف الشباب ويا معدوم الاوصاف يابدري الاصباح
٠٦) يافاتر اللحظ ياغال الوصال ويا سميح الاقبال ياسلال الارواح
٠٧) يامن يميل كغصن البان مندجر ياشمس ياقمر ياغاية اریاحي
٠٨) يامن وداده نشا باقصى الحشا وغشى من قد نشا برق حبّه بالحشا لاح
٠٩) كيف انت قد زرتني والناس هاجعة وانا بعيدٌ على مرباك منزاح
١٠) لا تحسب اني على فرقاك منسيني ذكراك يامنيتي من دون نصّاحي
١١) قعدت والناس م الاوسان شاربة كاس النعاس من الوسنات سياح
١٢) لكنني مغرمٌ من سن كاظمة أو شاربٌ من غشيم معتّق الراح
١٣) من كاس شرطا شمولٍ غير محدثة حمرا مشعشعةٍ لارواح الارواح
١٤) تسبي العقول بعينا عين مغزلة والجيد جيد مهاةٍ من مها الضاحي
١٥) سقى ربى دارها بالدلو ناشية سبتين هامية ممسى وإصباح
١٦) متهلهل هامي تلقى مساحبه بضّاض نضّاض هامي الودق سحاح
١٧) رجّاس فرّاس لجب الرعد ملتبس برقه بمزنه غزير المزن ضحضاح
١٨) يسقي الوصيل وبنبان وما الحجر واجا وبطن السليّ ولايحٍ لاح
١٩) جزوى لمن حل فيها من نشعت به ومن فراقه لسر القلب قد باح
٢٠) من كان ينفل جميع البيض إن برزت دومٍ لميزانها بالزين رجاح
٢١) تركي قيسي عراقيٌّ مجاذبه بَدْرِيٌّ دُرّيٌّ في خدّيه تفاح
٢٢) هو داي ودواي واسقامي وهو مرضي يامسلمين وهو أسباب إصلاحي
٢٣) ثم الصلاة على المختار سيدنا ما هل هلال فوق الأرض أو ساح

ومن قصائد عامر السمين التي لم تنشر هذه النصيحة على البحر الهلالي. ولغة هذه القصيدة العامية تؤيد زعمنا بأن الفصاحة في القصائد السابقة فصاحة غير سليقية، لأن سليقية الفصحى تعني عدم ظهور العامية وتفشيها بعد. والبيت الرابع عشر يذكرنا بقصيدة المهادي.

٠١) يقول ابو سلطانٍ فتى الجود عامر الاقوال م الاجواد ما نستعيرها
٠٢) رأيت أنا باريا الرجال رميقه عين البصير وغيرها يستنيرها

٠٣) عمى الراي للرجّال يوطيه ما درى وهو جاهلٍ من كل بيرٍ غزيرها
٠٤) فلا خير في رجلٍ إلى عاد شوره كلون الرحى من جا إليها يديرها
٠٥) وصار الذي يخفى على الضد ظاهر والاجواد تخفي سرّها في ضميرها
٠٦) غدى في مثاني ما غدى في مذاهب لو ارضى أوايلها كرهنا أخيرها
٠٧) ومن يرجي الأعدا برجوى صداقه كالافعى إلى جاها جهولٍ يجيرها
٠٨) يلقى إلى خانوه ريحٍ خبيثه حقيقٍ بهذا الحال لا رحم صيرها
٠٩) اخبر دليل الناس الى كنت جاهل بافعال ما كد ما مضى من مسيرها
١٠) إلى داس رجلٍ زلةٍ فاعلم انه لزومٍ عليه ان عاش سوّى نظيرها
١١) عجبت لمن يعطي قصاياه ضدّه من الناس أمسى غلّ داها عسيرها
١٢) ترى اكثر خلان الرخا قلّبِيّه إلى اشتدت الشطّه تراخى كثيرها
١٣) فلا يروي العطشان عن لاهب الظما إلى ورّد الما من حباله قصيرها
١٤) والانذال لا تذري ولا ينذرى بها والاجواد تعطي نصحها مستشيرها
١٥) على مثل بيتٍ قيل في ماضيٍ مضى الاقوال يغني قلها عن كثيرها
١٦) فإن يد سرّت عداها وحاربت عزاها بداه اللوم واللي مثيرها
١٧) كرتبة مجدٍ يذكر الناس فضلها بعيده وعِدّي نيلها عن قصيرها
١٨) فيانفس داري مجلس الظلم واحذري دقاق المعاني واعلمي في نديرها
١٩) من ضيع الحسنى من الناس قادر كمن خان في عاريّةٍ يستعيرها
٢٠) الاسرار تبغى من ورا سد عارف أخا فكرةٍ في كل خيرٍ يديرها
٢١) ولاضداد تبقى عقدها من يحلّها إلى حل مربوع القدى من وسيرها
٢٢) ترى كسر عظم الساق يرجى جبوره وعيب السلاما ما يداوى كسيرها
٢٣) خذها كوصف الدر مني وصيه أجارك من سو الليالي مجيرها